مقدمة

إشكالية الخطاب في القراءة التاريخية لوقعة كربلاء

لا ريب إن خطاب وقعة كربلاء لم يأخذ البعد المعرفي إلا متأخراً ، ولم يُعنى بمنهجيته تلك إلاَّ القليل ممن تخلوا عن المثيولوجيا والقصص الغريبة التي حيكت في زمن غياب التفكير المنطقي والعقلي ، إن تدوين الثورة الحسينية رافقه الكثير من الإنشاء والتحشيد العاطفي والإبخاس والغلو ، مما إخرج الثورة من سياقاتها ومن عقلانيتها وبعدها الإنساني ، رأينا ذلك في لغة الخطاب الذي يُتلى على المنابر ، وكذا في المادة المستخدمة في هذا المجال ، كل ذلك أثر في بنية الثورة ومحتوآها وقيمها ، حتى تساوت في لغتها بشيء من التسويف والهرطقة والتطير والبكائيات ، وليس من شك في إن الثقافة التي كانت سائدة في العصر الوسيط ، غلبت في كثير من الأحيان تلك النزعة مضافاً إليها متبنيات العقيدة الحاكمة وسلطتها المرجعية ، ويعني بالضرورة هذا تشكيل جملة من مسوغات يغلب عليها الطابع القبلي لصفة الديمومة ، وقد تبناها إعلام الحكم حتى صارت جزء من الفكر السياسي الذي تشكل وفق ذلك ، معتمدين على التضاد السياسي والتخالف على أمل كسب الجمهور وتأطيره بإتجاه سلطة النظام والحكم ، وهذه عملية مقصودة بكل تفاعلاتها وحركاتها .

إذن هناك في البدء ـ إشكالية موضوعية – تختزن جُملة مشاكل ، منها :

1 – ماهو معرفي وعلمي .

2 – ومنها ماهو درامي وتراجيدي .

3 – ومنها ماهو سلوكي له علاقة بطبيعة النظام السياسي والسلوك السياسي .

وعليه فالإشكالية تخص مجمل تراث الخطاب الخاص بوقعة كربلاء وإسقاطاته على المتلقي والقارئ .

إن النظرة المعرفية للتراث وما يتضمنه وما يحتويه لازمها التوافر على نظرة عقلية مستقلة وغير مؤدلجة ، وتلك وحدها تستطيع إنتاج مشروع معرفي لتفكيك بناءات التاريخ المزيفة والإشارة إليها من غير وجل أو خوف وترديد .

وقد عُرفت الإشكالية في تاريخ وقعة كربلاء : على إنها مجموعة مشاكل في القراءة وفي التحليل وفي صحة الروايات والأخبار ، وطبيعتها وموضوعيتها وقربها وبعدها عن الكتاب المجيد ، ولأنها كذلك ومن أجل تفكيكها يلزمنا تفكيكها مجتمعة ، أخذين بنظر الإعتبار الدراسات الأصولية والكلامية القديمة في هذا الشأن ، كما يلزم عدم التفريط بقدرة علم الإجتماع الحديث وفلسفة التاريخ في الفهم والتحليل الموضوعي المطلوب .

___

وحين يُمكننا ذلك نكون قد وصلنا إلى الجانب الأهم في هذه القراءة ، وتحديداً بتوظيف أدوات العمل خدمة للخطاب وإبرازه بدءاً من شكله الطوباوي وميثيولوجيا خطابه إلى النظرة العلمية والموضوعية القابلة للروح النقدية ، حالما يكون ذلك النقد قادراً بالفعل على تخطي كل ما يعيق حركة العقل وقدرته على الإنتاج .

إن شيئاً يدفعنا للقول إن الكثير من الهرطقات التراثية صارت عقيدة بفعل التطويب لها ، من غير نقد وبحث وتحليل ومُقاربة ، ولهذا يجب تحرير العقل من المقدمات العقيدية التي تُكبل حركة البيان والتحليل ، لأن العقيدة هي هذا التصور الكلامي لجماعة من الناس أو لواحد من الناس ، وهذا التصور ليس بالضرورة أن يكون هو الصح وما عداه يكون باطلا .

إن المشكلة تبرز في جوهر معرفتنا للتاريخ ، وفي جوهر وعينا الإجتماعي والثقافي والحضاري ، وهذا يعني عندنا إن جوهر التاريخ تحكمه قوانين السببية وما يُصطلح عليه بنظام ـ العلة والمعلول ـ ، ذلك النظام الذي يجعل من القراءة في الحاضر وليس في الماضي ، قراءة تقدمية وليست قراءة رجعية ، قراءة تقوي دعامات العقل بما يُعاصره من أفكار ورؤى لا بما كان من تحجر وضياع و أوهام ومسوحات تقليدية بالية ، قراءة تبرز التاريخ لا على أنه سجل لحوادث وقعت في الماضي ، بل إنها تظهره كصورة يمكن التأسي بها والإقتداء وأخذ العبر ، ولنقف عند هذين العنصرين ولنحاول تبني مشروعنا الفكري والثقافي في القراءة بناءاً على نسبية مفهومي الزمان والمكان ، وهذا يجعلنا أكثر إصراراً على مسألة ـ إعادة قراءة التاريخ ـ وتخليصه من الشوائب ومما علق به من الوهن والضعف وغياب المنهج وسيادة النزعات المذهبية الضيقة وتحكمها فيه ، من أجل هذا نقول :

كيف يجب أن يقرأ التاريخ الإسلامي ؟

وقبل الإجابة على هذا السؤال الموضوعي ، لا بأس أن ننبه إلى بعض المحاولات المبدعة التي قام بها جماعة من العلماء من أجل تخصيص المادة التاريخية على ضوء الحاجات البشرية ونظام الجماعة ، ومن تلك المحاولا ت دراسة ـ أبن خلدون ـ في مقدمته المشهورة ، وبعض اللمحات التي نقرئها في فلسفة التاريخ عند ـ كانط وهردر وهيغل وكوندورسية وخروتشية ـ ، ومع جدية تلك المحاولات ولكنها لم تخلو من النقد ، أو القول بأنها تكرار وإجترار في إعادة الماضي بروحه وبمقوماته ، نعم لكي تكون القراءة موضوعية فهي تحتاج ، إلى عقل مستقل قادر على الحكم وفق المنطق والعدل وطبيعة المنتظم الإجتماعي ، كما إنها قراءة علمية ونعني بها قدرتها على النظر للمستقبل فهو الفضاء الذي يمكن من خلاله التصور والعمل والإنتاج ، وقد نقترب في ذلك من المنهج التحليلي الذي أبتدعته المدرسة الأوربية ، كما لدى ـ جان مارتيان ـ الذي قال : إن التاريخ لايمكن أن يكون غاية في نفسه ، وإن سير البشرية لا معنى له إلا أذا رأيناه أزاء ظرف غير محدد بزمن .

الكلامية والسياسة ص 56طبع بيروت

بمعنى أننا لن نتمكن من إبداء وجهة نظر معينة في أية قضية تاريخية ، إلاَّ إذا خرجنا من دائرة التأطير والقوالب الجاهزة المعدة سلفاً ، والتي لايمكن المساس بها أو تلك الأمور المصونة التي تعلو على الإنسان ذاته ، ولازم ذلك إيمان عميق بمبدأ الصيرورة وحتميته ، لأن التاريخ جزء منه بل هو الجزء الذي يبرز سننه وقوانينه ، نعم لقد ذهبت نظرة العالم الإغريقي ـ بروتوجورس ـ أدراج الرياح لأنها جعلت من التاريخ حاجة ذوقية وشخصية ، تلك النظرة التي تتجاوز الحقائق

الموضوعية لتبني مكانها سلسلة اعتبارات يكون فيها قضايا ذوقية وشخصية محضة وحسب ، وهذه النظرة تدعونا للاجابة على السؤال الذي طرحناه آنفاً حول الكيفية التي يجب ان نقرأ التاريخ من خلالها ، اي اننا كيف يجب ان ندرس التاريخ عملياً ؟ .

لقد قالوا بأن هناك اتجاهان مختلفان في دراسة التاريخ :

الإتجاه الأول : التفسير الجدلي للتاريخ .

والإتجاه الثاني : التفسير الفطري للتاريخ .

ولاريب ان بين هذين الإتجاهين إختلافا كبيرا ،[فالإتجاه الأول : نزعة فكرية تفسر التاريخ على إنه صراع بين الأضداد] ، وبالتالي تكون العلاقات البشرية هي عبارة عن هذا الصراع ومتولدة عنه وناتجة عنه ، وبالتالي يلغى عندهم معنى السُنة التاريخية ، والإتجاه الثاني : لا يلغي نظام الصيرورة ، بل يفسرها وفق الصياغات التي جاء بها الرسل والأنبياء ، وإلى ذلك أشار ـ روجيه غارودي ـ الكاتب الفرنسي الذي أشهر إسلامه ...

ولكن أليس هناك قراءة موضوعية لا تلتزم بهذين الإتجاهين ؟ ، أعني أليس هناك من قراءة معرفية صرفة تعتمد المنطق الطبيعي دون الإخلال أو التجاوز ، وفي ذلك يلزمنا وجود عقل مستقل يحدد لنا الفترات التاريخية ضمن ما يسمى بالحقيقة الوصفية والحقيقة النوعية التي تشكل في الجهاز المفاهيمي محتواه وأسسه وأركانه ، ويعني ذلك قراءة للتاريخ بوعي يحقق له استقلاله ، وقيمته العلمية ويصون له أهدافه من الإنحراف والخلط ، أعني قراءة التاريخ بصورة موضوعية عقلية تُعيد بناء الوعي بصورة منطقية ، وفي ذلك نحن أحوج ما نكون إلى اعادة بناء وعينا ، وليس تأريخنا وحسب ، بل أيضاً بالدرجة الأولى لحاضرنا ومستقبلنا .

إن إعادة كتابة التاريخ على تلك الأسس هي حاجة نابعة من وعي حاضرنا ، ومن حاجته إلى تأسيس وتدعيم من الخلف ، إلى إبراز مسيرة الوعي الحضاري كما تمت في الماضي من أجل تأسيس وتدعيم الفكر الموضوعي الذي يحدث في الحاضر ، وينتظر ان يتقدم بصورة اقوى إلى المستقبل ،وبذلك تعني ان تكون اعادة متفائلة تؤمن بالزمن ، وحاجات الإنسان ، وتتطلع لتقديم الأفضل وذلك سر التطور والتكامل في الحياة البشرية ، إننا نريد إعادة واقعية موضوعية تبني وتؤسس وتنتج وتنمي ، ولا نريد صوراً حالمة فقط ، ولا نريد قراءة بمستوى المنظور الخلدوني في دراسته للتاريخ لأنه كان اتجاهاً تراجعياً منقبضاً ، إنه ليس قراءة للمستقبل بل هو تكرارا للمفاهيم وللحوادث بصورة ميكانيكة آلية ، إنه اجترار ممل لايقدم لنا مشروعاً حضارياً متكاملاً ، ونحن لانريد هنا ان نقدم نقداً لما سجلته الخلدونية من قراءة في التاريخ ، ولكننا نريد أن نقول إنها قراءة القوالب الجاهزة والأحكام المسبقة ، ولهذا لم تبن بقدر ما تجاوزت احياناً ، وذلك لبعد المنهج الحيادي في تفكيرها .

إن المشروع الذي نتبناه لا يتكأ على التاريخ ولا يهرب منه ، بل إن مشروعنا يُحلل التاريخ بحسب قضاياه وأهدافه ومنجزاته ، ليكون له عقله الفاعل المنتج الذي يسود ويحكم ، وذلك لايتم إلا إذا جعلنا تاريخنا بمنطقه الذاتي قادراً على جعل صورة المستقبل متممة لصورة الماضي ، تتمييم من جهة المعنى لا من جهة الرموز والألفاظ الحرفية ...

النص التاريخي

هنا يطرح سؤال ما هو ذلك النص ؟ وكيف نقرئه ؟ ، النص بحسب التعريف المعجمي : هو تلك المادة المقروءة أو المسموعة منه ... ، والنص هذا متى أمكننا قرائته بموضوعية أمكننا ذلك من فهمه وتحليله ومعرفة عبارته ، وهل هي صالحة للتداول والإستخدام ؟ وطبعاً النص التاريخي ليس مقدساً ولا ينبغي النظر إليه كذلك ، ومن هنا نعرف معنى لفظ – أمكننا – التي تعني قدرتنا على معرفة مدلولاته وتطبيقها على الزمان والمكان الذي حدث فيه ، والتطبيق من الناحية المعرفية لا يتم إلاَّ بالعقل : الذي هو وسيلتنا في ذلك ، طبعاً العقل كأداة ، وينبغي أن يكون العقل معاصراً لنفسه ، و مراعياً للشروط الموضوعية التي تكون الأسس العلمية للمفاصل التاريخية ، حالما تكون المفاصل حسية مدركة أو بإعتبارها أجزاء مترابطة ، وهذا التعميم يجعل من الماضي حاضراً أذا ما أردنا لذلك الماضي أن يستوعب الحاضر بكل أشكاله الحضارية وتقنياته ، لأنه من غير الجائز أن نجعل للزمن الثقافي المعاصر دور الحكم فقط .

فأولاً : إننا لا نريده ان يكون جامداً ومتلقياً فقط ، لأن الجمود والتلقي من المضادات لأبداعات الفكر الإنساني .

وثانياً : إننا لا نريده أن يعطي للتراث صفة المقدس ، ذلك لأن التقديس من حيث هو أو بحد ذاته عملية طوباوية ، تسخر العقل ليكون قابلاً للجبرية وللا أدرية تجاه قضايا التاريخ ورموزه .

من هنا نقول يجب إعطاء الزمن حجمه الطبيعي وشكله الطبيعي ، الذي ينسجم مع روحه وصحة مقولاته ، ولكن يجب أن ننظر إلى التراث بقدر الحاجة إليه والضرورة التي نجد فيها وجودنا وذاتنا ، و الذي يسير بنا إلى الأمام يتقدم بنا ويحدد لنا ملامح المستقبل ، وبذلك نكون معاصرين لأ نفسنا وللمستقبل مكتسبين من الماضي قدراته وإمكاناته وعناصره وأهدافه ، وعندها نكون قد حققنا ما تجمد وكشفنا الغموض والإبهام والإشكالية .

كتب عابد الجابري في إشكاليات الفكر العربي المعاصر ص 13 ما نصه : إن المثقف أو المفكر أو السياسي أو الكاتب لا يعبر في العادة عن قيمه الخاصة ، بقدر ما يعبر بطريقة شعورية أو لا شعورية عن قيم الجماعة التي ينتمي إليها ، وفي كثير من الحالات عن طبقة اجتماعية يدافع عنها ، ..

لأن الكاتب هو وليد المجتمع و يكتب من خلاله حدث هذا ابان الدولة الأموية ونزعتها الجبرية ، ولهذا تجره بلا شعور معرفي يقود إلى تدوين تاريخي مشوه تارة في صورة النص ومنطق النص وزمن النص بحيث يكون غريباً في وجوده غير مستوعب لزمنه ، وقافزاً بحكم الجو السياسي الحاكم ليكون الصفة التوقيفية ، وفي هذه الحالة تكون القراءة للنص قراءة معقدة متعبة ومضنية ، وقد تلتزم بمنهج فكري معين تبعاً لسيادة الفكر المذهبي ، فيسود الإختلاف النظري والعملي كما هو حاصل اليوم في أوجه التعددية الفكرية لمفهوم النص ومعناه ، وقد ساهم في ذلك الإعلام المزدوج الذي جعله رجراجاً ضعيفاً يغلب عليه الصفة الحكواتية الدرامية ، وهذا في حقيقته ناشئ عن أزمة في لغة النص حين التدوين ومابعده ، إذن فكيف يمكن أن تزول تلك الصفة لتستبدل بغيرها أكثر واقعية وعقلانية ؟ ، ذلك ما نريد الإجابة عليه تحت عنوان .

أزمة الإبداع في خطاب المنبر الحسيني :

: إنها ليست أزمة واحدة ، بل هي أزمات هي نماذج مختلفة من تعددية لغوية وخطابية

1 - فعلى المستوى اللغوي : تبرز الحاجة إلى معرفة ما إذا كان الخلل في الخطاب نفسه أم في لغته ؟ ، فإذا كان الخلل في الوضع اللغوي ،فلا بد أن نستدرج المفردات مجردة ،ثم نطبقها على معانيها ودلالاتها ،فإذا كانت قادرة على إستيعاب المعاني والدلالة عند ذلك يكون التطبيق حسب الموافقة ، أعني موافقة الجزء للكل ، و أما لو كان التطبيق لا يستوعب الدلالة إلا في زمنها اللغوي كأنها توقيفية عليه ، أو أنها متعلقة به عند ذلك تكون الحاجة إلى الإجتهاد في لغة النص بحيث نخرجها من التوقيفية لتكون مؤدية للغرض ، وإنما يقع الخلل في الإستخدام أو التوظيف . وذلك يجب مراعاته

وأما على المستوى الخطابي : فهنا تدخل تراكيب وتعميمات كثيرة لعل من أبرزها الدور الإعلامي - الدور الناشر - والذي يتولى عملية التبليغ ضمن وسائله المتاحة والممكنة ، وهنا تبرز ظاهرة الإعلام الموجه الذي يكون فيه المستمع مباشراً في تلقيه ، أي إنه الأقرب إلى الإعلامي ، وقد يكون ذلك الإعلامي رجل منبر أو واعظ مثلاً كما يحدث في مجالس العزاء الحسيني ، وهنا ينشأ فكر مزدوج من الطريقة التي يتلقى بها المستمع إلى اللغة الخطابية الموجهة ، فهو هنا يعيش بأنصاف مشاعر فهو متلقي عادي ، وفي كثير من الأحيان يهمه أداء واجب أو تكليف أو ممارسة عادة وأعراف جرى تقليدها في السابق ، فهو مستمع وحسب ،و لو أراد أحدهم أن يتدبر معاني ذلك الخطاب أو يفهمها حسب لغتها ، فأنه قد يُفاجأ بحلول بعيدة عن لحن ومحتوى الخطاب ، وربما تكون الإجابة إرتجالية لا تقوم على دليل وحجة ، كما يفعل الخطباء في العادة ، ولكن هذا الإستدراك لازمه وشرطه أن يكون المستمع واعياً ومدركاً لما يقال ، ولكننا نصطدم في الغالب بكون المتلقي رجل من عامة الناس ولا يهمه ما يقوله الخطيب بقدر ما يعتبر ذلك يقع في ميزان . أعماله الصالحة ، وهذا الذي يتسبب بقبول للمعلومات من دون وعي ودراية

و حين سأل أحدهم خطيباً ما عن صحة الخبر القائل : - أن ليلى زوج الحسين حين رأت ولدها علي بن الحسين في المعركة ، قالوا : إنها دخلت وأخرجت نهديها ونشرت شعرها ودعت ألخ !!! ، فما كان جواب ذلك الخطيب - إلا أن قال هذه القضية خاصة بي وأنا أعلم بها وبمصدرها - ، وحين طلب المتلقي مزيد بيان كان الرد عنيفاً وجارحاً وخارجاً عن حدود الأدب والمسؤولية . ولو تصدى مفكرا ما لإزاحة هذا الغبار وطرده من تاريخ الثورة الحسينية ، تصدى له أولئك الخطباء بالطعن واللعن والتشهير والتشويه والتكفير ، مع ان الأمر لا يحتاج في حد ذاته إلا إلى قراءة واعية في كتب الأخبار والتاريخ من غير أحكام مسبقة ، فلربما أهتدوا من ذلك إلى علم ومعرفة غير التي يسمعونها من ألسن الخطباء والمهرجين ، وذلك ليس إبتعاداً عن السلوك السوي ولا الثابت من ... الدين ، بل إنه تحفيز للعقل لإدراك الحقيقة من غير ضغوطات الكهنة والسلفيين المتخلفين

الخطيب والسلفية

إن مشروعنا في قراءة التاريخ الذي بدأناه في - وقعة كربلاء - ، أحدث موجة من الجدل في أوساط متخصصة وغير متخصصة ، تحكمت في معظمها كما يقول فرنسيس بيكون أوهام القلبية وأوهام السوق ، ولكنها في مجملها أدت غرضاً مزدوجاً كما يبدو فهي من جهة نبهت الناس إلى الطريقة العلمية في دراسة التاريخ ، وإلى ظاهرة التجديد في الفكر الديني ، ومن جهة أخرى سببت لدى الخطباء أزمة ثقة بينهم وبين الجمهور ، فهم قد تأكدوا تماماً ان تلك الأذكار التي

يرددونها على المسامع أصبحت خاوية لفقدانها للضوابط والقواعد العلمية المعروفة والمعمول بها في البحوث والدراسات الأصولية الدقيقة ، وأنها لا تعطي إجابة منطقية عما أثارته وقعة كربلاء ، من حقائق وأفكار تمتد في عمق الفكر الإسلامي ، لذلك أصبح للوقعة رواجاً بين الوسط الأكثر إندفاعاً إنه جيل الشباب الجيل الواعي الذي يرغب في تأسيس لغة جديدة في دراسة موضوعات التاريخ ، وقد تكفلت وقعة كربلاء في حينها بوضع اللبنة الأولى في تركيب المواد التي أستخدمت كعناصر أولية في تأسيس الهدف الحسيني ، لقد كانت المرحلية الزمانية في النهج تقتضي تصحيح الإعتقاد والفهم لهدف الحسين ، ونفي فكرة الشهادة كهدف مستقل وإبتدائي له وتأكيد هدفه في مسألة تولي الحكم وقيادة الناس ، فالشهادة ليست هدفاً مستقلاً يسعى له القادة والمصلحين ، إنما هي عرض ، قال أهل الميزان : - إن حركة الأولياء والإنبياء ذاتية في العدالة عرضية في الشهادة ـ ، ولابد من التذكير بأن القول بالشهادة كهدف للحسين إنما ساد في النصف الثاني من القرن السابع للهجرة مع أبن طاووس وكتابه اللهوف ، نعم لقد تكفلت ـ وقعة كربلاء ـ في رد هذا المفهوم متمسكة بالحقيقة التاريخية والحقيقة العلمية وبأن الحسين إنما تحرك من أجل إقامة الحكم العادل .

إن هيمنة الفكر السلفي من غير تحقيق جرنا للإيمان بخزعبلات وهرطقات في سلوكنا وفي عقيدتنا ، ولابد من التنويه إننا مع السلف الصالح نجلهم ونحترمهم ولكن لا نقدسهم فهم رجال ونحن رجال ، و منهجي في هذا البحث يقوم أساساً على تحقيقات السلف الصالح من العلماء كالشيخ المفيد والشيخ الطوسي والسيد المرتضى ، وهذا تأكيد على أن منهجنا لم يكن بدعاً كما يزعمون أو تجديداً منفصلاً عن ماضيه بلمتصلالا به و معه ، ولكنه إتصال على أساس تقديم الأفضل وكشف كل ما خفي من الموروث بإشكالياته المتعددة ، لقد كنا مع هؤلاء في مقولاتهم .... وأرائهم ناصرناهم وأيدنا ما قدموه من مفاهيم وإستنباطات

منهجنا ومشروعنا يقوم على التحقيق في السند الروائي والنص الروائي ، ومطابقته للزمن وللواقع فإذا صح أخذنا به وإلا فلا ، ولذلك وقفنا كثيراً عند أحداث وقعة كربلاء ما جاء منها بلسان الرواية ولسان الخطيب ، وحاولنا التطبيق على الواقع مستهدفين إبراز الجانب الإنساني والحضاري الحي للوقعة ، فنتج عندنا لون من الضبط الموضوعي لرواة الأخبار ومتونها ، فحذفنا من تأريخية الثورة الحسينية رجال أشتهروا بالكذب من أمثال أبو جميلة وسفيان بن وكيع ـ وغيرهم ،ودققنا فيما نعتبره تاريخ للسلف الصالح فوجدنا أرائهم في رجال الحديث فيما يخص وقعة كربلاء تؤكد ما ذهبنا إليه ، وماسجلناه في كتابنا هذا ، وحاولنا جاهدين ان نجعل من هذا الكتاب معاصراً لنفسه وللعقل كل عقل موافقة للثقافة الجماهيرية العامة ، وعلى إختلاف درجة القراء ، فهي إذن محاولة لتقريب الذهن إلى حقائق وقعة كربلاء ، ربما نكون قد وفقنا للإجابة عن السؤال الذي عاصرنا في هذه المقدمة ، عن الكيفية التي يجب أن نقرأ التاريخ فيها ومن خلالها ، ويكون تأكيدنا على الأزمة في كل ذلك مرجعة إلى الخطيب تأكيداً في محلة ، لأن الخطيب المنبري لا يستخدم ولا يعتمد على أدوات وآليات العلم ، ويعتمد فقط على ما قد سمعه وكرره على أسماعه الخطباء الأخرين ، أنها الأزمة التي يعاصرها الفكر حينما يصطدم بتأريخية الثورة الحسينية وأهدافها .

ولقد كان إهتمامنا في إزاحة بعض العراقيل في هذا الإتجاه ، لعلنا نبلغ الهدف وهو الهدف الذي يطمح إليه كل من يعشق الحسين وأهدافه وثورته عشقاً عقلياً لا مزاجياً عاطفياً ، تؤثر به قوى

السلطة وأجهزتها ومنظومتها السلطوية كما حدث حينما منعت شعائر الحسين من الأداء ، نحن نريد بناء جيل ينسجم مع طموحات الحسين بشكلها الرسمي المقرر الصحيح لا بلونها المزيف المادي المغرق بألوان الضعف ، والذي يمارس الطقوس كحاجات عرفية رتيبة ، ويطبقها كوهم مسرحي تقوده أحيانا إلى الوقوع بالمحذور ، إننا ندعوا لقراءة تأملية تطبيقية لكل الأوراق التاريخية ليكون مشروعنا حضارياً معاصراً لنفسه وللزمن الثقافي ، ويكون ممتداً إمتداداً عفوياً تلقائياً علمياً وموضوعياً وقائماً على قواعد تؤسس وتنتج انتاجاً تقدمياً ، يدعو إلى الوحدة والتحرر وإقامة الحكم العادل ، وهذه هي غاية الحسين وهدفه ، ولا بد أن يكون تأريخنا مواكباً لتلك الدعوة ويعمل على تحقيقها .

وليس تلك عملية تصويرية أو مثالية قابعة في المخيال الأسطوري ، بل هي حاجة ضرورية أكدتها التجربة والرغبة والشعور بالمسؤولية تجاه التزامنا الواعي الحر برسالة الحسين في دنيا الناس ، وليست هي دعوى نثيرها ، بل هي تحديداً لملامح وطبيعة الشخصية في دورها الريادي العملي لا التنظيري المتدني في سلسلة مراتب الفقه السياسي وأدب السلطان ، و الذي صاغته عقلية خطابية موجهة برموز معينة ، ومدفوعة بنظام مرجعي خاص ، فلنتجاوز كل ذلك ولنحدد رغبتنا في أن نكون معاصرين لزمننا الثقافي فاعلين فيه غير منفعلين ، وهذا لا يتم إلا بحدود ما يمكن تغييره في الأحكام الزمنية لا الثابت من النظرية .

وما توفيق إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب) :

رمضان 1410 **15**
1990 -4 -15 -
الشيخ إياد الركابي

الفصل الأول

نظام الثورة وإشكالية التعليل

نعم لم تنته حكومة الظلم الأموي بنهاية معاوية بن أبي سفيان ، بل إنها ظلت تمارس أحكامها الطغيانية من ورائه بخلافة أبنه يزيد ، ومن البديهي أن أفضل فرصة للشعوب في تقرير مصيرها وتحقيق مطالبها بالعدل والحرية هو في بداية أي عهد حكومي جديد ، ففي بداية العهد اليزيدي ، وهلاك معاوية اجتمعت القوى المحبة للعدل والحرية والسلام مشكلة فيما بينها خلايا وفصائل عمل مهمتها إرجاع الخلافة إلى أصحابها الشرعيين ، وقد شكل المجتمعون جمعيات عمل من جميع الذين أصابهم أذى وضرر من عهد معاوية ، وقد كان الموضوع الأول الذي بحث في إجتماعهم هو كيفية الخروج من الحكم الأموي والتأسيس لحكومة

جديدة ؟ ، وهذا
الأمر بطبيعته يحتاج إلى قيادة رائدة وقادرة على إستيعاب حركة الجماهير والسير
. بها نحو تحقيق المطالب العادلة
وقد كان الإمام الحسين يمثل الأمل في هذا الإتجاه ولذلك توجهت إليه الأنظار ، لأنه يمثل الحلقة الجامعة
لكل مؤهلات ومزايا القائد الذي يبحثون عنه ، وقد ساعد في ذلك الجو السياسي العام وشعور الأمة
بحاجة إلى أن يكون معهم يتقدمهم ويقودهم ، وكان الناس في مختلف الأمصار تنتظره لكي يقودها
،، نحو شاطئ الأمان
نقرأ ذلك فيما بعد وفاة الإمام الحسن ، إذ كتب إليه أنصاره وشيعته في العراق يطلبون منه القيام على
معاوية ، ولكنه رفض ذلك وقال : - أن بيني وبين
معاوية صلح ولا أحله أبداً ، ولكن إذا هلك ننظر وتنظرون . الأرشاد ص 79

نعم لقد أصبحت الشروط الموضوعية للقيام بعد موت معاوية ممكنة من أجل تأسيس حكومة العدل
والحرية والسلام ، وإخراج البلاد والعباد من الأحكام
،، الطغيانية الأستبدادية والظلم ، والسير بالناس نحو الإستقرار والأمن والعدل والسلام
ولكن قبل هذا وقبل أن يُقدم الحسين على العمل لتأسيس حكومة العدل ، شرعت السلطة الأموية بتنفيذ عدة إجراءات أمنية وعدوانية ضد كل توجه إصلاحي من شأنه التفكير بتغيير النظام السياسي ولهذا طالبت الحكومة الجديدة من الحسين الإنصياع والبيعة علناً
، ومن دون قيد أو شرط !! وقد طالبت كذلك بعض وجوه أبناء الصحابة
الأرشاد ص 179 . 180
فالسلطة الحاكمة إذن بادرة بالضغط على الإمام لكي تفوت الفرصة عليه من الإتصال وتنظيم الجهود وحشد القوات ، أرادة منه الإعتراف بشرعيتها لذلك مارست في حقه إرهاب منظم ومكشوف كما تقول المدوناة التاريخية ، وكانت تستهدف إعتقال الإمام أو قتله كإجراء إحترازي ، وهذا ما عجل بحركة الإمام وبيان موقفه من قضية الحكم والخلافة ، قرر إذن ، الإمام بالتحرك والقيام على الحكومة الأموية
. ويعني ذلك إنه تحرك جاء كرد فعل للاعتداء والتجاوز من قبل أزلام السلطة عليه
. وفي بحثنا هذا وفي فصله الأول
سنبين بشيء من التفصيل العلل الرئيسية لقيام الحسين ، وماهية عوامل الثورة
وإشكالية التعليل ، ونقول : في البداية كانت الثورة رد فعل عملي منه على ما تقوم به السلطة وأعوانها ، بعد ما رفض الإعتراف بحكومة يقودها يزيد ، من أجل هذا سنبحث مواضيع

:رئيسية ثلاث في هذا الفصل ألاَّ وهي

، ! لماذا قامت حكومة يزيد بالضغط على الإمام لكي يبايع ؟
ولماذا رفض الإمام
، ! البيعة والإعتراف بيزيد خليفة للمسلمين ؟
ولماذا أقدم الإمام على القيام من أجل تأسيس
الحكومة ؟
: إذن فالبحث في أسباب القيام و الثورة لابد أن تبحث داخل إطارين
. الأول : هو الإطار المفاهيمي لمرجعية السلطة والحكم
،
والثاني : هو الإطار العملي الذي سيتبناه الإمام ، وكذا ورأيه في مسألة الحكم
. والدولة وكيف يجب أن تكون ؟

: الإطار الأول

نعلم جيداً إن حكم يزيد قام في الأساس على التوريث وولاية العهد ، وهذا الإتجاه في الحكم ممنوع في الإسلام الذي كان يؤمن بالشورى وبالبيعة العامة ، ثم إن الخليفة الجديد لا يلتزم بالقوانين الشرعية ويعتمد في سلطته على رأيه الشخصي دون النظر إلى رأي الجماعة ، والإمام كان يدعوا لترسيخ مفهوم الحكم الجماعي لا الفردي ، ولهذا وجدت السلطة في دعوته تلك مخالفة صريحة لها ، لذلك شنت عليه موجة منظمة من التهم
: والدعايات تحكمها ثلاث علل رئيسية وهي

، قوة الحكم ودكتاتوريته ، وعقدة الحقارة ، والحس الإنتقامي

: وأما قوة الحكم ودكتاتوريته

فتظهر بالطريقة التي مورست بحق الحسين من أجل مبايعة يزيد ، إذ إن ولاية حكم يزيد في البدء
قامت على القوة وأموال بيت مال المسلمين ، قال أبن الأثير في الكامل ج 3ص 511
ولقد أستند يزيد من بعد أبيه على قدرة الخلافة وقوتها وأمكاناتها في
تدعيم سلطته ، ومادامه قد هيمن على الحكم بهذه الطريقة ، فما قيمة أخذ البيعة من الإمام الحسين وموافقته على خلافته ؟
ومن أجل الأجابة على ذلك نقول : إن ولاية عهد يزيد قامت
على الترغيب والترهيب المادي والمعنوي ، ولم تقم في الأساس على قناعة الناس ورضاهم به

، و دليل ذلك في الكيفية التي أتجهت فيها أنظار الناس للحسين بعد هلاك
، معاوية من أجل تولي الخلافة
وكان الجميع يأملون أن يتولاها الحسين فهو القادر على تغيير نظام الحكم ليكون أكثر عدلاً
. ، وإستقامة ومشروعيةً
لأنه كان من أكثر الشخصيات قرباً إلى قلوب الناس ، و
كان يتمتع بحبهم وقربه منهم ، والناس
لو تركوا أحراراً لأختاروا الإمام للخلافة دون منازع ، وحتى لو رفض
، الإمام ذلك فلا أحد من بين كل الشخصيات قادر على كسب الناس وتأييدهم
، فهو إضافة إلى مزاياه الخاصة هو سليل البيت النبوي وكبيره وزعيمه وسيده
علماً ومعرفةً ودرايته وسعة إطلاع ، وهذه الصفات والإعتبارات الإجتماعية والنفسية
مهمة في قضية إنتخاب الحاكم ، ولهذا لو قبل الإمام خلافة يزيد أبتداءً ، لأثر ذلك في
موقف الناس وسلموا من دون قيد بصحة خلافة يزيد ، ذلك لأن بيعة الإمام الحسين في
العرف السياسي والإجتماعي تعني بيعة الأكثرية ، وهي على حد
تعبير أبن خلدون بيعة الكافة ، لهذا سعى يزيد وبسرعة من أجل أن يأخذ
البيعة من الإمام ن من أجل تدعيم حكمه وحكومته حتى لو أدى إلى ذلك أستخدام
القوة ، ومن أجل أن نوضح المعنى لابد أن
نشير إلى بعض الأدلة التأريخية التي وردت بلسان أنصار الدولة الأموية
وأقطاب الحزب الاموي عن مكانة وقيمة الحسين وعظمته وتأثيره وأثره في المجتمع
.

رأي معاوية

قيل : لمعاوية إن الإمام الحسين يعد العدة للقيام ، فكتب إلى الإمام
كتاباً طويلاً يزعم فيه إن الإمام الحسين يفكر بالثورة عليه ، وقد رد
الإمام عليه بكتاب قال فيه : - وبعد ذكر جرائم معاوية المتعددة ... وليس الله بناس لأخذك
بالضنة ، وقتلك أوليائه على التهم ، ونفيك
اوليائه من دورهم إلى دار الغربة ، وأخذك للناس ببيعة أبنك - رجال الكشي ص 51 طبع
مشهد
فلما قرأ معاوية كتاب الإمام قال له
أبنه يزيد أجبه جواباً تصغر إليه نفسه وتذكر فيه أباه بشر فعله ! قال
معاوية (ما عسيت ان أعيب حسيناً ، ووالله ما أرى للعيب فيه موضعاً) - رجال
الكشي ص 49 طبع النجف
وهذا قول معاوية ورأيه بالإمام الحسين فيما بينه وبين خاصته
،

: رأي حاكم المدينة

عندما وصل كتاب يزيد إلى حاكم المدينة الوليد بن عتبة بن أبي سفيان يطلب فيه منه أخذ البيعة من الإمام الحسين أخذاً ليس فيه رخصة (تاريخ الطبري ج 4 ص 250 والأرشاد ص 200) ، عند ذلك دعا الوليد الإمام ليلاً ليخبره بذلك ويأخذ البيعة منه ،وأعطاه مهلة حتى الصباح ، قال مروان بن الحكم ، للوليد : لاتدع الحسين يخرج من عندك بلا بيعة فيكون إولى منك بالقوة وتكون أولى منه بالضعف فأحبسه حتى يبايع او تضرب عنقه ، وقعة كربلاء ص 84 للمؤلف طبع بيروت ، فقال الوليد (والله ما أحب لي ما طلعت عليه شمس وغربت عنه من مال الدنيا وملكها واني قتلت حسيناً ، الأرشاد ص 201 الشيخ ،المفيد

رأي شبث بن ربعي

يعتبر شبث بن ربعي ممن دعوالإمام الحسين في البداية ، ولكنه مال إلى ابن زياد وسار معه نحو حرب الإمام في كربلاء حيث كان قائداً على الرجالة يوم عاشوراء ، ولكنه بعد وقعة كربلاء بسنين وفي أيام مصعب بن الزبير أستذكر يوم عاشوراء وما جرى فيه وقال : كنا سنين خمس في ركب علي والحسين قاتلنا معهم آل أبي سفيان ، ثم عدونا على أبنه وهو خير أهل الأرض نقاتله مع آل معاوية ،ضلال يالك من ضلال ،،تاريخ الطبري ج 4 ص 332

: رأي عمر بن سعد

قال عمر بن سعد قائد جيش الضلال يوم عاشوراء بعد وقعة كربلاء وهو يتألم على ما فعله وأرتكبه من جرائم : ، الويل لي ! أطعت ابن زياد الظالم ابن الفاجر وخالفت أمر الحاكم العادل الحسين بن علي ،، وقعة كربلاء ص 156

ملاحظة

لقد رأينا كيف تحدث معاوية عن الحسين وعن عظيم شخصيته ، وإنه أي الحسين كان مبرأً من كل عيب ، وكيف تحدث عنه صاحب المدينة ؟ ، وكذا شبث بن ربعي وعمر بن سعد ، وعليه فالحسين هو القائد الذي تهوى إليه النفوس ، ناهيك عن كونه سبط النبي ، وهذه المزايا جعلته المُقدم على غيره ، وصار إسمه بعد هلاك معاوية الأكثر طرحاً وتداولاً في المحافل والجمعيات السياسية ، وقد أعتبرته الأغلبية الممثل الشرعي والوحيد الذي يمثلهم لمنصب الخلافة ، ولو تركوا أحراراً لبايعه الناس جميعاً ، وهذا ما يجعل يزيد غير قادراً على إستيعاب مثل تلك الشخصية في مملكته ، ولهذا أمر واليه على المدينة ان يأخذ البيعة من الحسين بن علي قبل شياع موت معاوية في البلدان ..تاريخ الطبري ج 4 ص 250 والأرشاد

للشيخ المفيد ص 200 ، فيزيد أراد من تلك البيعة ان يضرب
عصفورين بحجر كما يقولون ، فهو من جهة أراد أن يخرج عدداً أكبر من الساحة
. وإن يجبر المؤيدين للإمام الحسين على الرضوخ والقبول بخلافته.
وبهذا يكون قد ساهم في تقوية وتدعيم مملكته وحكمه ، ومن هنا يتبين إن من
الأسباب الرئيسية التي دفعت يزيد
. لأخذ البيعة من الإمام على النحو الذي مر ، هو من أجل تقوية حكمه وحكومته

عقدة الحقارة

معنى - الحقارة - هو الضعف وعدم القدرة وحين تكون عقدة فيكون ذلك شعوراً داخلياً
يرافق المرء أو من يوصف بها في كل مجالات حياته ، وهي تبدو أكثر وضوحاً لدى أولئك
مالذين يصلون إلى مواقع الزعامة والسلطة السياسية من دون
المؤهلات والكفاءات والقدرات ، أي أولئك الذين يصلون عبر المؤامرات والدسائس والرشوة
وفي أحيان كثيرة عن طريق القتل وإرتكاب الجرائم المنظمة ، ويمارسون هذه
الأعمال الوظيفية من خلال هذا الشعور بالنقص ، فتكون تلك الممارسة عبارة عن إرهاب وقتل
وتخبط وإستخدام للقوة في غير محلها ، وهذا النمط من القادة والزعماء على علم تام
بأنهم لن يستطيعوا النفوذ والدخول إلى قلوب الناس بالطرق العادية ، ولذلك يعمدون للإكراه
والجبر ، وتلك
حقيقة نفسية عندهم تعبر عن نزعة ناتجة عن عُقد نفسية ونقص وإنهزام ، تبدو لدى أولئك
الرجال الذين يمارسون الحكم من غير وجه حق ، تنعكس في سلوكهم وعملهم وممارساتهم
اليومية ، وقد بدت هذه العقدة واضحة لدى يزيد وهو في مركز السلطة ، فقد كان الرجل يعاني من
عُقد الإنغلاق والضغف والشعور بالدونية ، وهذه
العُقد دفعته لاشباع رغباته المكبوتة من عدوانية وسادية في حب الإنتقام
نتيجة لما يحسه من ضعف وعدم قدرة ، وكذا عاش (منصورالدوانيقي)* نفس الإحساس
ونفس العقدة تجاه الغير وتجاه المُخالف ، والمنصور هو أبو جعفر عبدالله بن محمدبن
علي بن عبدالله بن عباس ولد سنة 95هجرية في 7 ذي الحجة وتوفي يوم 7ذي
الحجة سنة 158 هجرية ودفن بالحجون ـ العقد الفريد ابن عبد ربه ج 5 ص 370
. طبع دار الكتب العلمية

والإحساس بعُقدة الحقارة عند يزيد نمى وكبر معه حينما وعى على هذه الدنيا وأدار وجهه يمنة
ويسرة فلم يجد غير إسم الإمام الحسين كعنوان للصدق والفضيلة والعلم وكل المناقب الحسنة ،
هذه الصفات جعلت رصيده بين الناس هو الأول من الحب والولاء ،والترابط
بين الحسين والناس ترابطاً مصيرياً ، يفهمه يزيد ويعي حقيقته منذ زمن : فشعوب الأمة
على اختلاف طبقاتهم مع الحسين في منهجة وتوجهاتة ، ويعلم يزيد جيداً إن هذا الترابط هو
حقيقة طبيعية ناشئة عن رسالة جد الحسين النبي الأكرم وجهاد
والد الحسين علي بن أبي طالب ، وهي ثمرة من ثمرات ذلك الجهاد المرير

والعطاء الكبير لمسيرة محمد وعلي عليهم السلام ، ويزيد يعي جيداً أن أسلافه من بني أمية كانوا الأعداء الألداء لدعوة السماء ورسالة الإسلام وأستمروا في ذلك سنين قاربت العشرين عاماً ، ولم يدخلوا الإسلام إلا قهراً وخوفاً بعد فتح مكة عام 8 للهجرة ، وأصبحوا كما تروي السير والصحاح من كتب الحديث طلقاء على لسان النبي محمد ، ويزيد يعي تماماً مدى عمق شخصية معاولة وما اكتسبته من قوة تحت لواء الإسلام وفي ظله ...

ويزيد هذا غلام حدث جعل من القوة سبباً لسلطته ، لعلمه إنه لا يمتلك العلاقة الحسنة مع الناس وهذه هي الحقيقة ، فا لعلاقة الحقيقية كانت بين الحسين والنس ، ولم تكن علاقة قهر وقوة وغلبة ، بل كانت علاقة حب وولاء وإنتماء ، ومعلوم إن العلاقة التي تقوم على الحب والمعرفة لايمكن للمادة أن تفت منها أو تبدلها ، والمادة لا تصنع الحب ولا العلاقات الحسنة ، بل تصنع النفاق والجل والحيلة ، ويزيد يعلم هذا ويعلم إن بطانته وحاشيته من فئة الدجالين والمنافقين الذين لا هم لهم إلا الطمع والمادة ، وهذا الأمر كان يُشكل عنده الهاجس الذي الذي يحد من قدرته وتمالكه ومحتوى تفكيره وخطابه الحكومي ، ولأنه كما يعبر علماء البيان ، قد أتى به القدر ليكون في زمن الإمام الحسين وفي مواجهته ، ولأن يزيد رجلاً مغروراً فكانت تنقصه القدرة وينقصه الحلم ورباطة . الجأش ، وهو يواجه ذلك العشق والحب من قبل الجماهير للحسين إن ضعف يزيد وعدم قدرته هي التي شكلت تلك العقدة التي ملئت قلبه حتى صارت كالغدة السرطانية التي تنهش جسمه وروحه ، حتى غدى الصورة التي رددها لاحقاً المنصور ،، الدوانيقي في مقولته . هذا الشجي المعترض في الحلق

ونختم بالقول إن علماء النفس يعتبرون من يعاني عقدة الحقارة من الضعف والإنهزام والنقص يبحثون عن العلاج في البكاء تارةً والإنتحار أخرى ، وأما في حالة يزيد فقد أختار القتل والعدوان لكل من يحمل روحاً تحبها الناس وتعشقها ..

.....

ونفهم عقدة الحقارة في يزيد من موقفه عندما وضعوا له - رأس الإمام الحسين - أمامه في المسجد ، إذ نظر إليه ثم قال للناس

أتدرون من أين أتى هذا ؟ قال أبي خيرٌ من أبيه !! وأمي فاطمة خيرٌ من امه: !! !! وجدِّي رسول الله خيرٌ من جده !!! وأنا خيرٌ منه وأحق بهذا الأمر ، فأما

*****!!!!!! أبوه خيرٌ من أبي فقد حاج أبي أباه وعلم الناس أيهما حكم له**

الظاهر
ان يزيد قد أعتبر إن معاوية أنتصر على أمير المؤمنين علي في التحكيم ، مع إن ذلك الإعتبار خطأ كبير وواضح ، إذ ان أبو موسى الأشعري خلع يد الطاعة من الإمام علي في حين ثبتها عمرو بن العاص لمعاوية ، في عملية فعل خسيسة من إبي موسى معلومة النوايا والأهداف ، وقد فصلت القضية بكتب السير والتواريخ
ومانتج عنها ... وثانياً ان معاوية قد أمر بسب الإمام علي على المنابر لما يقارب العشرين عاماً ، وهذا كان له كبير أثر في قبول ذلك كما يزعم يزيد ، وإذا كان ذلك انتصاراً لمعاوية على الإمام علي فهذه من دواهي الأمور ، مع إن الأمر في حقيقته ليس كذلك كما لا
يخفى على أهله .... وأما أمي خيرٌ من امه فلعمري فاطمة بنت محمد رسول الله خيرٌ من أمي ، وأما قوله : جدّي خيرٌ من جده ، فلعمري مامن أحدٍ يؤمن بالله واليوم الأخر يرى لرسول الله فينا عدلاً ولا نداً ، ولكنه إنما أتى من قبل فقهه ولم يقرأ : قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء ،وتنزع الملك ممن تشاء،،، تاريخ الطبري ج 4 ص 355 ومقتل الخوارزمي ج 2 ص 57
لقد خانت يزيد حجته فهي دليلاً عليه لا له ، لأن خطابه كان للمسلمين وشرط الإسلام هو الإيمان بنبوة محمد ، ومحمد هذا كان يقول : الحسين مني وأنا من حسين ، أي إن الحسين هو ثمرة من ثمراته ، وهذا ما كان يعرفه يزيد ويحس به تجاه المكانة والوضع الإجتماعي
الطبيعي للحسين ، يزيد يعلم الحسين إضافة إلى معانيه الكاملة وفضائله الجمة ، هو أبن تلك الشجرة التي أصلها ثابت وفرعها في السماء ، شجرة الرسالة والنبوة ومصباح الهداية ، وهذه الكينونة الطبيعية للحسين في إنتمائه أرغمت يزيد عنوة على الإعتراف بعظمة تلك الشجرة في جدّ الحسين وأم الحسين ، وإن كان اعترافاً مراً بل لعله في نفسه أشد من السم الزعاف عليه ولكن لا مناص من ذلك ، إذن عقُدة الحقارة عند يزيد أكدتها إعترافاته تلك ، وأدلت بمعلومات قيمّة حول ما هية الحقد على الحسين وأسباب قتله بالصورة التي ترويها المدونات التاريخية وبشاعتها وفظاعتها ، ولكي يبرر فعلته تلك حاول الالتفاف على جريمته مبرراً إياها بأحدى نصوص الكتاب المجيد القائلة : (قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء) ، وهذا التبرير في حد ذاته مثير للسخرية حقاً ، لأن يزيد هو الحاكم الذي قام ملكه على القتل والإرهاب والجريمة وسلب الحقوق والغلبة والعدوان ، فهو وبحسب منطقه يعتبر قتل الناس وسلب حقوقهم وحرياتهم تم ويتم بمشيئة لطف الله وأمره ، وكأن الله !!!!!!! أراد ذلك أو يريده ، والقرآن على ذلك دليل

ولابد من التوقف هنا عند إعترافات يزيد وإقراره بعظمة النبي محمدوفاطمة الزهراء ، ومع إنه لم يقل صراحة ان الحسين كان عظيماً وقريباً من الناس ،

لكنه بذلك يكون قد أعترف ضمناً ، فهو لم يقل : إن ليس ابن النبي وابن فاطمة ، ولم يستطع كذلك نفي
فضائله المعنوية والأخلاقية ، ولم يجد من دليل على قتل الحسين سوى ذلك التعليل المتهالك لمفهوم النص ، وهذا يبين طبيعة الحقارة والضعف في نفسه ، ولهذا وظف كل طاقات المسلمين وأموالهم
من أجل قتل ابن بنت النبي مع أهل بيته وأصحابه ، والمضحك في الأمر إن يزيد يقول إن : - : الحسين كان يقول
أنا خيرٌ منه واحق بهذا الأمر ، - مقتل الخوارزمي ج 2 ص 57 ، وكأن الخلاف مع يزيد في طبيعة الشخصية والتكوين العائلي فقط ، ولم ينظر إلى إن الخلاف حول طبيعة الحكم وكيف يجب أن يكون ؟ .
وبالنتيجة لم يكن منطق يزيد إلاَّ محاولة منه لتبرير جريمته في قتل الحسين ، وبأنه في ذلك يمتلك الحق والقوة ، يقول بسمارك : - إن من
يتملك القوة يمتلك الحق - *** هذا هو منطق المستبدين عديمي الضمير ، غذ إنهم يعبرون عن الحق بالقوة وليس بقوة الحق ..

الحس الإنتقامي

لابد أن يؤخذ مفهوم الإنتقام هنا في سياقه التاريخي ، وما من شك ان بين هاشم وأمية خلاف وكراهية وعداء معروف مع إنهما من بني عبد مناف **
راجع كتاب صدر الدين شرف الدين (هاشم وأمية في الجاهلية) ،والكلام هنا قبل الإسلام ، وقد إزداد حدة وهوة وخلافاً
بعد ظهور الإسلام ، فالنبي محمد هو من بني هاشم ، وهذا كان سبباً مباشراً في العداء لمحمد ، ولكنه أتخذ هذه المرة عداءاً للدين وللنبوة ولدعوته التوحيدية ، يدفعهم إلى ذلك حقدهم القديم على بني هاشم ، تحركهم في ذلك نزعات قبلية وتفاخر عشائري مقيت
ورجعي ، وبعد اشتداد الأزمة والصراع بين الكفر والإسلام مثل أبو سفيان جانب الشرك بكل ماضيه من حقد وكراهية ، ومثل الإسلام بكل مافيه من خلق وتسامح محمد النبي ، وكان أبي سفيان قائدا لجيش المشركين في إحد والأحزاب وغيرها من
وعمل ما بوسعه من أجل الإطاحة بالإسلام ونظامه المدني الحضاري ، معتمداً في ذلك على احقاد قديمة وتنافس وهوس وشعور بالنقص ، وكانت حجتهم في ذلك ، حماية
آلهتهم وأصنامهم من دعوة محمد ونبوته ، ومهما قيل في سبب الخلاف بين بني هاشم وبنو أمية ، فإن الخلاف حول الزعامة السياسية والإقتصادية والإجتماعية هي الأكثر تأثيراً وغلبةً ونفوذاً ، ولكنها أُصبغت بصبغة حماية الآلهة التي يعبدونها ، مع إن الحقيقة كان في التنافس ، السياسي مع بني هاشم الذين إختارهم الله ليكون منهم النبي ومنهم الرسول
هذه العناصر السيكولوجية لها كبير الأثر في جعل أبي سفيان اشد عداءً للنبي محمد من عامة عبدة الأوثان الأخرين ، ويبدو من قراءة بسيطة في

تاريخية العداء الذي يكنه بنو امية للنبي تؤكد هذه القراءة على انهم
عملوا الكثير من اجل إطفاء نور السلام والإسلام ، ومارسوا الضغوط الكبيرة
على نبي الإسلام ، وتحملوا في ذات الطريق خسائر مادية ومعنوية كثيرة ، حتى
، قتل منهم يوم بدر الكبرى ابن أبي سفيان ، وجدً معاوية أبو هند ، وأخوها
وعمها ، وهذه النكبة ولدت في نفس هند وزوجها شعوراً متزايداً بالانتقام
والكراهية ، مما دفعهم للتأمر وإستخدام اسلوب الفتك في القضاء على من
يكرهون ، حتى استطاعوا قتل حمزة سيد الشهداء عم النبي والذي مثلت هند بجسده
الشريف : - إذ بقرت بطنه وإستخرجت كبده وقطعتها ثم لاكتها بأسنانها - ** راجع
سيرة ابن هشام ج 2 ص 144 ، إعلاناً وتوكيداً على النزعة العدوانية والإنتقام
والحقد على محمد ودينه وشيعته ،وهذه النزعة الإنتقامية متجذرة عند آل ابي
. سفيان يتوارثونها جيلاً بعد جيل
إن السلوك السياسي الذي أعتمده النبي محمد حال دون تحقيق أبو سفيان لرغباته في الكيد،
والإنتقام ، ويعتبر دخوله في الدين الإسلامي دليل على فقدانه للقدرة على المناورة ، وهو لم
يدخل في الدين عن قناعة بل دخل بعدما فقد القدرة على تحقيق شيء مما كان يسعى
إليه ، دخل طليقاً مع الطلقاء من المشركين عند فتح مكة . إن نزعة الإنتقام عند آل ابي
سفيان من محمد ومن الدين الجديد تشبه (النار تحت الرماد) ولنقل كان دخوله نفاقاً
وخوفاً وتمشياً مع حركة الإسلام الزمني ونموه وتقدمه ، لكن روح النفاق وهذا السلوك
المخاتل ظهر للعلن مع حاكمية عثمان بن عفان الذي ينتمي ولاءً لبني أمية ، حيث كان حكمه
بمثابة الإنجاز الذي سعوا من أجله كثيراً ، صحيح إن عمر بن الخطاب مهد لولاية معاوية بن
ابي سفيان على الشام ، ولكنه كبر وأزداد نفوذه في عهد عثمان ذلك الخليفة الضعيف
والبسيط ، ففي عهده قد أستخدم معاوية منصبه خير استخدام ، ووظفه خير
توظيف خدمة
لطموحاته المعتددة ، والتي كانت تريد القيادة والخلافة في نهاية المطاف ، وقد تميز معاوية
بقدرة فائقة على التحايل والكيد والتآمر ، وفي سبيل أهدافه قام بعملية كسب للناس بطرق
ووسائل مشروعة وغير مشروعة حتى آل الأمر إليه . فيما
بعد قضية التحكيم المشهورة ، لقد كان معاوية يمثل رأس حربة في عدائه
لمشروع العدالة الذي كان يمثله الإمام علي ، وفي ذلك نقول : إنه هو من رتب وصنع جماعة
الجمل الذين حاربوا علياً ، وهو الذي قاد حرباً شرسة ضد أمير المؤمنين في صفين ، وما نتج
عنها من دمار وقتل وازهاق للارواح ، ثم اعقب ذلك بشن سلسلة
من الغارات على مدن الخلافة الإسلامية في الأنبار وهيت والقطقطانية ومكة
واليمن ، وحتى شهادة أمير المؤمنين على يد أبن ملجم الخارجي لعنة
الله عليه ، كانت سبباً غير مباشر من من أسباب قضية التحكيم التي
دبرتها يد الغدر والنفاق ، ولما آل الأمر إلى الإمام الحسن ومصالحته
لمعاوية ضمن ظروف وشروط قاهرة معروفة ، تولى ابن ابي سفيان الحكم دون
منازع ... وفي قصره سمع يزيد كيف تولى معاوية الحكم ؟ سمع ذلك من أبيه مشافهة ،

ويعتبر الأمويين إن معركة بدر من أشد المعارك وأقساها عليهم ، إذ فيها قتل الكثير من المشركين من بني أمية وكان لعلي النصيب الأكبر في قتلهم ، أذ قُتل فيها أخو ،، معاوية وخاله وجده لأمه * أنظر نهج البلاغة صبحي الصالح

معركة بدر

حدثت قبل ولادة يزيد بثلاث وعشرين سنة ، وقد سمع هذا الغلام مما جرى لأهله فيها من قتل وأسر ، مما زاد في نفسه الحنق والكراهية وحب الإنتقام ، ولذلك كان يتحين الفرص للكيد من آل النبي إنتقاماً

لاجداده وأعمامه ، وقد سجل لنا التاريخ ذلك في

أبيات من الشعر قرئها يوم وُضع رأس الحسين أمامه ، متمثلاً لأبيات لعبدالله بن الزعبري تغنى بهن يوم أحد ، وبعد ان قتل من المسلمين عدد ماقتل من

المشركين يوم بدر

ليت أشياخي ببدر شهدوا جزع الخزرج من وقع الأسل

قد قتلنا القرن من ساداتهم وعدلناه ببدرٍ فاعتدل

: ثم قال يزيد

لست من خندف ان لم أنتقم من بني أحمد ماكان فعل

لعبت هاشم بالملك فلا خبرٌ جاء ولا وحيٌ نزل

قد أخذنا من علي ثارنا وقتلنا الفارس الليث البطل * مقتل الخورازمي ج 2 .. ص 59

قال أهل الإختصاص : ان البيتين الثالث والرابع ليسا ليزيد ، وإنما وردا بلسان حاله

وواضح ان قتل الإمام الحسين ، كان تعبيراً عن سادية يزيد وعدوانيته ، وكل ذلك يجب النظر إليه من داخل

. الإطار المفاهيمي لمعنى الحكم عند الأمويين وحزبهم ومن ينتهجون نهجهم

الإطار الثاني

والبحث فيه عن الأسباب التي دعت الإمام الحسين للثورة على ، الحكومة الأموية ، صحيح ان الإمام الحسين لم يبايع يزيداً ولم يعترف به رسمياً وهذا الموقف جعله في مواجهة يزيد وحكمه وعصاباته ، ولأن ذلك كذلك فقد ركز الحسين إهتمامه بدراسة الواقع السياسي والإجتماعي وحاجات الناس ، وهل يمكن العمل لتأسيس واقع سياسي جديد ؟ ، في هذا الإتجاه سنبحث الأمر وما يتطلبه ، ونبحث : لماذا لم يبايع الإمام يزيداً؟ ، ولماذا

عمل على تأسيس نظام حكم جديد ؟

لماذا لم يبايع الإمام يزيداً

أما لماذا لم يبايع ؟ والجواب يرتبط بما يتعلق ذلك بما تؤدي إليه البيعة على الصعيد العام ، حين طلبت منه الحكومة ان يبايع دون قيد أو شرط ، وبالقوة
من دون وجه حق قانوني وإسلامي ، وقد كان ذلك عملاً اجرائياً وقائياً
مارسته الحكومة في مواجهة النقمة الشعبية المتزايدة ضد حكومة يزيد ، ولأن
الحسين في هذا كله يعتبر مفتاح العملية لذلك طلب منه ان يبايع وضمن تلك
الصورة ، ليستخدم يزيد ذلك الإعتراف كموجه اعلامي يشيعه بين الناس على
صحة خلافته وقانونيتها وإسلاميتها ، والإمام الحسين لاعتبارات عدة لا
يستطيع أن يعترف بخلافة يزيد على أنها قانونية أو يعترف بها لأن ذلك كذب صريح ، والإمام الحسين لايقول الكذب
ولا يفعل ما يخالف ضميره ورؤيته وقناعاته ، وإن فعل ذلك هكذا فكأنه قبل بالظلم - وحكومة الظلم ، كما إن القبول والإعتراف بخلافة يزيد يعني ذلك الإعتراف بالظلم وبالتجاوز على الحقوق ، وهذا منهي عنه بصريح الكتاب قال تعالى : (ولاتعاونوا على الأثم والعدوان) *المائدة /2
كما إن القبول بخلافة يزيد مع القدرة على رفض ذلك هو ضلال وإبتعاد عن الحق ، وفي تلك الحالة سيقال
للناس ، ان الإمام الحسين كان بوسعه ان لايعترف بحكومة يزيد ، ولما اعترف
بها فهي إذاً حكومة قانونية شرعية
كما إن الإعتراف بحكومة يزيد هو تعدٍ واضح ومفضوح على الإسلام ، ذلك لأن حكومة يزيد - ظالمة ومستبدة وغير عادلة ، ولايمكن للإمام
. ان يعترف بحكومة ظالمة تقوم في إدارتها على القهر والكبت ومصادرة الحقوق والحريات
كما إن الإعتراف بحكومة يزيد يعني تخريب كل عمل إصلاحي يمكن أن تقوم به الجماعة- ، المؤمنة
لأنه بإعتراف الإمام يكون ملزماً بالوفاء بما أعترف به من عقد البيعة ، ومن لوازم ذلك
. ، الإعتراف غض الطرف والسكوت عن كل فعل يمكن أن تقوم به السلطة
لهذه الأسباب لايمكن للإمام ان يعترف بخلافة يزيد وبانها قانونية وشرعية
في حين تعمل هي على تحطيم قواعد العدالة والنظام والحرية ، ،

ولكن لماذا عمل الإمام من أجل تولي الحكومة والسلطان ؟

هذا التوجه من الحسين كان طبيعياً وواجباً عليه ، لما كانت تقوم به حكومة بني أمية من أعمال وتجاوزات في معظم هياكل الدولة ومفاصلها ، فحكومة معاوية قد تجاوزت على كل الحدود والأحكام الأحكام ، فمن سلب الحريات ومصادرتها ، إلى ممارسة الإرهاب والتضييق وحملات

الإعدام والإعتقال الكيفي المزاجي ، إلى إستغلال الإنسان والمال العام في خدمة وصالح البيت الأموي ، ولم يكن معاوية مهتماً بمسألة العدالة ، ولا بقضية الحرية ، ولم يكن يولي مسألة كثير إهتمام ، ورغم كل ذلك لم يكن القيام عليه ممكناً ، لأنه كان يحكم بالحديد والنار وكان يمتلك من الحيلة والمكر والتسويف والمماطلة السياسية ما يجعل من القيام عليه غير ممكن ، ومع ذلك كانت قوى الخير والسلام في الأمة تتحرك وفق الممكن من الأشياء ، ولهذا كانت تتحين الفرص ، ولهذا وبمجرد هلاك معاوية تحللوا أولاً من عقد البيعة ، وفكروا ملياً بالكيفية التي يمكن معها التأسيس لنظام حكم جديد ومختلف ، وقد سرت موجة من التحولات
النفسية والشعبية في هذا المجال وقد قُدم الحسين كرائد لمرحلة
التغيير والإصلاح ، ولما له من رصيد شعبي وحب كبير بين الناس ، وهو كذلك كان ينتظر
. ، موت معاوية * الأرشاد ص 200
إذ
إن إمكانية التغيير والإصلاح بعد موت معاوية متوفرة بحدود واسعة ، كما إن الحكومة الجديدة ستواجه جملة من القضايا تحد من قوتها ونشاطها ، وهذا الشيء يعرفه الإمام ، وقد تنبهت الحكومة إلى ذلك من خلال ما قامت به من إرهاب للإمام لكي يبايع يزيدا ، وفي ذلك السبيل مارسوا في حقه الكثير من القهر والعنف سالبين منه الأمن والإستقرار ، مما أربك الكثير من تحركه وطريقة تفكيره وما كان أو يستوجب القيام به أبتداءً ، وهذا الشيء هو الذي جعله يترك المدينة ليلاً وسراً ، مهاجراً منها
إلى بيت الله ومركز الإسلام مكة المكرمة ، وقد كان لهذه الهجرة أثراً
سلبياً شديداً على الحكومة وأجهزتها البوليسية ، فتحرك الإمام يعني بداية
تحرك جماهيري واسع في ظل ظروف وشروط مناسبة للثورة على يزيد

دعوة الناس

لقد ذكرلنا التاريخ صوراً جميلة عن الالتفاف الحقيقي من قبل انصار العدل
والحرية والسلام حول الإمام علي بعد مقتل عثمان ، وكيف بايعوه على
الخلافة وتولى مقاليد الحكم ، ونفس هذا الأمر حدث مع الإمام الحسين لما هاجر إلى مكة مع إختلاف يسير قد اعيد
تكراره بعد موت معاوية ، فأنصار العدل ومحبو
السلام الذين عاشوا ما يقارب العشرين عاماً تحت ظل الإرهاب والبطش
والإستبداد الأموي ، قد إنتهزوا فرصة هلاك معاوية لتشكيل فصائل وخلايا عمل
مهمتها الطلب من الإمام الحسين أن يتولى مقاليد الخلافة ، وزمام امر
المسلمين لُينقذهم من الظلم وذل الإستبداد إلى النور وطريق الحرية
والكرامة ، وكان نداء العدالة منبعثاً من أهل الكوفة قادماً من أعماق

قلوبهم فهم الأكثر تضرراً من حكم معاوية ، وقد عبر
أهل الكوفة عن رغبتهم تلك بكتب ورسل بعثوها للإمام الحسين ليسمعوه صوتهم
ودعوتهم طالبين منه ان يقبل دعوتهم في التصدي للأمر ، ولكنه أي الإمام لم
يستجب لدعوتهم تلك في أول الأمر ، لأنه لم يكن يرغب في أن تكون حركته من غير منهج
وعلم ثابت ، ولكي يتحقق من صحة وصلاحية دعوتهم تلك بعث إليهم - مسلم بن عقيل
- أبن عمه وثقته من أهل بيته ، ليكون له رسولاً عندهم يحقق له ويستقرأ ويقرأ عن قرب
أوضاعهم السياسية والإجتماعية بشكل مباشر ودقيق ومفصل ، وليتحقق له منهم
ومن القوى التي
دعته ، وهل هي جادة في دعوتها ليكون لهم إماماً وقائداً وخليفة ؟ ، وطلب الإمام من
مسلم بن عقيل ، أن لا يبعث له حتى يتحقق من كافة الشروط والظروف الموضوعية ،
ودعاه كذلك ليأخذ البيعة له منهم على الجهاد معه ، وذلك ما فعله مسلم بن عقيل
بالضبط إذ بعث إلى الإمام الحسين كتاباً يقول فيه : - (إن الرائد لايكذب أهله إن
جمع أهل الكوفة معك فأقبل حين تقرأ كتابي) - *تاريخ الطبري ج 4 ص 297والأرشاد
. الشيخ المفيد ص 205
هذا الكتاب من مسلم بن عقيل رأى فيه الإمام الحسين الصدق ورأى كذلك جدية القوم
وصحة دعوتهم له ، وعليه وبناءاً على ذلك تحرك الحسين نحو الكوفة للقيام بتأسيس نظام
. العدل والحرية والسلام

عوامل النصر متوفرة

قرأ الإمام الحسين في كتاب مسلم له إن عوامل النصر متوفرة ، وإن أهل الكوفة جادين في
طلبهم وهم على إستعداد للجهاد معه بما يحقق للناس العدالة والحرية والسلام ، وقرأ الإمام
عوامل النصر على النحو التالي : إن حكومة يزيد كونها جديدة التأسيس ستكون ضعيفة ،
وهذا طبيعي فكل حكومة جديدة تكون في بدايتها ضعيفة ، وعادة ما يظل الناس
يرقبون ماينتج عنها وما تريد فعله ، وهل في إمكانها السيطرة على
الأوضاع أم لا؟ ، وهذا التوصيف معمول به في العلوم السياسية الحديثة
والمعاصرة حتى اليوم ، يضاف إلى هذا ماضي يزيد السيء الذي لا يؤهله للقيادة والخلافة ،
أعني عدم قدرته وضعفه ونقص كفائته ، وقد كان سائداً بين أوساط الكثير من السياسين بأن
يزيداً لن يستطيع السيطرة على شؤون البلاد والحكم ، في ذلك الوقت وضمن هذه
الفوضى كان الإمام الحسين قد هاجرإلى
مكة وتوقف فيها مبتدئاً المرحلة الأولى من نهضته ... وفي الوقت نفسه كان - عبدالله بن
الزبير - يقوم بعمل عسكري لتجهيز حملة عسكرية لمحاربة يزيد وحكومته ، يقول أبن
الأثير في الكامل ج 4 ص 19 : - إن يزيداً أرسل بألفي من جنده لمحاربة عبدالله بن الزبير ،
ولكن جيش يزيد إنهزم وأسر

قائده وضرب أسواطً - ، ونتيجة لضعف حكومة يزيد تمكن
عبد الله بن الزبير من التمدد والسيطرة على كامل بلاد الحجاز ، وبعد ذلك بفترة
وجيزة قام - نجدة بن عامر في اليمامة * الكامل ج 4 ص 102 ابن الأثير ، ولم يستطيع
يزيد في حياته من القضاء على حركة عبدالله بن
الزبير في الحجاز ، ولا على قيام نجدة بن عامر الحنفي في اليمامة ، كما إن والي مكة بعث
بمجموعة من جنده
لمنع
الحسين من الخروج منها وارجاعه إليها ، ولكنه لم يستطع بسبب رفض الإمام
وضعف ولاة يزيد ، مما أضطرهم لترك الحسين يسير والرجوع إلى مكة *الأرشاد للشيخ
المفيد ص 220 ، قال الشيخ المفيد في الإرشاد ص 220 ما نصه : - كان والي مكة
يريد إرسال الحسين إلى الشام - ، وهناك دليل أخر على ضعف حكومة يزيد وولاته ، فهذا
- النعمان بن بشير - والي الكوفة ، لم
يستطع الوقوف بوجه حركة أهل الكوفة ، ولم
... يتمكن من معرفة مكان مسلم بن عقيل السري
إلى أن جاء - عبيدالله بن زياد - وما قام به من أعمال عدوانية من ترغيب وترهيب وقتل
، ورشوة وإعتقال وسجن للاهالي
وهذه الاعمال في مجملها دليل ضعف لا دليل قوة ، لأن إستخدام القوة في مواجهة ،
الناس دليل أكيد على فقدان الدولة لمقومات البقاء . وعليه
فعدم قدرة النعمان بن بشير ورعونة ووحشية بن زياد كل واحد منها دليل على
. ضعف الحكومة

معاناة الناس

والعامل الثاني : من عوامل النصر هو ظلم وعدوانية حكومة يزيد وبني أمية ، وحين نقول
ذلك فإننا نعتمد على ما بأيدينا من أعمال قام بها معاوية خلال العشرين سنة من خلافته
، من تجاوز
وظلم وتعد وتحطيم لمبادئ العدل والقانون وسيادة النزعة الفردية ، مما جعل
الكافة تزدري حكومته وتستخف بها ، وكان ذلك شعورا بادي عبر عنه - معاوية بن يزيد -
لاحقاً بقوله :(فما نجهل كراهتكم لنا وطعنكم علينا) *الأرشاد للشيخ المفيد
ص 220 ،، وضمن ذلك الذي تقدم لا نشك أبداً بأن الحسين لو أستطاع الدخول إلى الكوفة
، واستقر بها
فإن الكثير من أبناء اهل البدان الأخرى من مدن العراق والحجاز واليمن وخراسان ومصر
سيكونون معه ضد حكومة بني أمية الديكتاتورية ، لأن الناس في تلك
البلدان لازالوا يحتفظون بذكريات جميلة وطيبة عن حكومة أبيه

علياً امير المؤمنين *تاريخ الطبري ج 2 ص 240 - ولكان في الإمكان مشاركته ومساندته والوقوف معه في تأسيس دولة العدل والإنسان

الأفكار العامة

والعامل الثالث : هو تطابق وجهات النظر والأفكار العامة مع فكر الإمام الحسين وأراءه ، وإن عامة أبناء البلاد الإسلامية مع الإمام ومع أفكاره ، وتلك قضية إيجابية تدعوا للفخر ، خاصةً فيما لو تمكن الحسين من الدخول إلى الكوفة ، وفي الحالة هذه يكون وجوده في الكوفة من أجل تأسيس حكومة عادلة ، تكون من مهامها المستقبلية تحرير الشعوب المسلمة من حكم يزيد ، متأسياً بما قام به الإمام علي ، مع فارق في البنية والتركيب السياسي لكل من يزيد ومعاوية .

وإليك دليلاً أوضح
يعتبر الشريك بن الأعور بن الحارث الهمداني من الساسة المرموقين في ذلك الوقت ، وكان من شيعة الإمام الحسين ، وكان هو قد ورد الكوفة من البصرة مع عبيدالله بن زياد ، وقد أصيب في الكوفة بمرض شديد ألم به ، وكان يسكن في المنزل السري لمسلم بن عقيل ، وله عند عبيدالله بن زياد قدر وشرف وجلالة فلما سمع بمرضه ابن زياد جاء لعيادته ، فقال شريك بن الأعور لمسلم بن عقيل :(إن هذا الفاجر عائدي العشية ، فأخرج إليه فأقتله ، ثم أقعد في القصر ليس أحد يحول بينك وبينه ، فأن برئت من وجعي هذا في أيامي هذه سرت إلى البصرة وكفيتك أمرها) * تاريخ الطبري ج 4 ص 271 ، وشريك هذا كان سياسياً صادقاً يعبر بإخلاص عن وجهة النظر العامة ، لأنه يعتبر االقضاء على ابن زياد مفتاح الحل العملي التغييري في العراق ، يعني هذا إن الناس عامة الناس كانت تنتظر قيامة الحسين وقيامة حكومته ، ولم يكن كلام شريك مجرد وجهة نظر بل كان تعبيراً عن إرادة عامة الناس ورغبتهم ، وإنهم جميعاً مع الحسين في هدفه وقيامته ، وبديهي جداً إن مسلم بن عقيل الو قتل ابن زياد لاستطاع السيطرة على الكوفة والبصرة ، ولتمكن الإمام الحسين من الدخول منتصراً .

كفاية القائد

العامل الرابع : من عوامل النصر ، هو كفاية القائد ونعني بها قدرته وعلمه وشجاعته وحلمه ، نعني بها إمكانيته في مجال الحكم وفي ذلك كان الحسين خير من يمثل هذه القدرة وتلك الصفات ، وقد شهد له في ذلك حتى أعداءه من البيت

الأموي ، وهذا ما أكده معاوية
لأبنه يزيد عندما قال له : (حسين أحب الناس إلى الناس) *تهذيب اب
عساكر ج 4 ص 327 ، وهذا التوكيد جاء بلسان معاوية رأس الفتنة وسيدها

القوات المتطوعة

العامل الخامس : من عوامل النصر ، هو وجود عدد لا بأس به من المتطوعيين لخدمة
: - : الإمام الحسين والدفاع عنه ، فهؤلاء أهل الكوفة قد كتبوا له يقولون
أقدم على جند لك مجندة) *تاريخ الطبري ج 4 ص 262 - ، والذي نعنيه بالقوات)
المتطوعة هي تلك القوى التي تؤمن بالخير وتتطوع لخدمة الناس ، وهذا على الضد من أولئك
المرتزقة الذين تقودهم المادة وتدفعهم الشهوات ، والفرق بينهما كالفرق بين جيش محمد
وجيش كسرى الساساني ، لأن الأولى : تدافع
عن المبادئ والحق والعدل وتقاتل من أجل ذلك ، وأما الثانية : فإنها تقاتل في سبيل
، الطاغوت ومن أجل المادة والطمع
والقوات التي تشكلت تحت ،
أمرة مسلم كانت من الصنف الأول ، وهي كثيرة يدفعها الشوق ، وتقارب عديدها با
ل 18 ألفاً *الأرشاد للشيخ المفيد ص 184 ، والأربعين ألفاً رجلا *تاريخ ابن
كثير ج 8ص 161 ، وقد كان من بين تلك القوات رجالات على غاية من الأهمية والصلابة
والإيمان والسمو ، أمثال مسلم بن عوسجة وحبيب بن مظاهر
وعابس بن أبي شبيب الشاكري رضوان الله عليهم شهداء كربلاء ، وقد ظهرت مواقفهم
كأسمى
صور المجد يوم عاشوراء ، وستبقى أسمائهم مشاعل من نور تضئ للعالمين كيف
تكون دروب الكفاح الحر والخلود الإنساني في
أكمل صوره التاريخية ، وطبيعي ان عدد انصار الإمام الحسين لم ينحصر بهذا
العدد الذي بايع مسلم فقط بل ازداد عددهم ، وصاروا هم الركيزة والمحور
الأساسي لقوات الإمام في الكوفة ، حتى قيل ان عددهم بلغ مئة ألف أو
يزيدون ، عدا المدن الأخرى والاقاليم كالبصرة والحجاز وغيرهما ، وقد أتفقت
كلمة المؤرخين من السنة والشيعة في ذلك وقالوا :(إنه كتب إليه من أهل الكوفة انه
معك مئة ألف) *الأرشاد للشيخ المفيد ص 201 وتاريخ الطبري ج 4 ص 294 ، ومثير
الأحزان ص 11 وتارخ ابن كثيرج 8 ص 170 ، وهذا النقل من الناحية التاريخية
صحيح جداً وطبيعي جدا .. فقد
بايع مسلم بن عقيل من اهل الكوفة نحو ثمانية عشر الفاً ، وإنهم لو تركوا احرار لبايعه
أكثر من مئة ألف ، يقول الشيخ الطوسي : (ان مسلم بن عقيل أخذ البيعة من
أكثر أهل الكوفة) * تلخيص الشافي ج 4 ص 183 ويقول شمس الدين الذهبي

الرجالي المعروف : (ولقد ثبت عدد من أحصاهم ديوان الإمام في الكوفة مئة ألف
سير النبلاء ج 3ص 201* (

دليل من الحياة

من أبرز الأدلة الواضحة في هذا الإتجاه إن ساسة معروفيين من أمثال شبث بن ربعي وعمرو بن الحجاج الزبيدي
قد كتبوا للحسين يدعونه
فيها للمجئ عاجلاً وليسجلوا أنفسهم في ديوان الحكومة المرتقبة ، وهذا النوع من
السياسيين أصحاب دنيا وسلطان ، ولا يهمهم من الأمر غير ما يكسبون ، ولو لم تكن إمارات
النصر لائحة للحسين لما أرسل هؤلاء أي كتاب للحسين يدعونه
فيه ، فدعوتهم إنما جاءت تعبيراً عن حقيقة امكانية النصر وتأكيده للإمام
فهم قد قالوا بكتابهم - فأقدم على جند لك مجنده * تاريخ الطبري ج 4
ص 262 والأرشاد للشيخ المفيد ص 204 ، معبرين في ذلك عن الواقع وحقيقته ، وقد
أيد مسلم بن عقيل هذا التوجه وأمضاه ، إذ انه بعد أربعين يوماً من التحقيق
كتب يقول : - (ان الرائد لا يكذب أهله إن جمع أهل الكوفة معك فأقبل حين تقرأ
كتابي) *تاريخ الطبري ج 4 ص 297 ، ومن غير الممكن ان يكتب مسلم هذا
خلافاً للحقيقة وخيانة للإمام !!! ، ولم يكن ذلك منه من قبيل الحدس
والتخمين بل كان بالتحقيق والنظر والإستقراء ، ‘ ولهذا السبب كتب الحسين إلى اهل البصرة
يدعوهم فيها إلى
نصرته، وقد إستجاب له أهل البصرة كما يقول صاحب اللهوف * اللهوف ص 34- 37
ابن طاوس
يتضح مما قلناه أنفاً ان القوات المستعدة لنصرة الإمام ، والمتواجدة في
الكوفة فقط كانت بحدود المئة ألف سيف بالإضافة إلى اهل البصرة ، وما أبدوه
من استعداد للمساعدة ، وعليه يكون الحسين في تحركه إنما تحرك إلى مئة ألف سيف معه ،
) : وقد بدى ذلك واضحاً في كتابه جواباً على كتاب مسلم بن عقيل
أما بعد ، فان كتاب مسلم بن عقيل جائني يخبر فيه بحسن رأيكم واجتماع
ملأكم على نصرنا والطلب بحقنا فسألت الله ان يحسن لنا الصنيع وإن يثيبكم
على ذلك أعظم الأجر) * الإرشاد للشيخ المفيد ص 220
والحق أقول لو كان قد تمكن من دخول الكوفة لتغير كل شيء في خارطة الحكم السياسي
. آنئذاك

ملاحظة

وفي السياق نفسه يمكننا النظر بعين الواقعية لطبيعة المنتظم الإجتماعي في الكوفة في ذلك الوقت ، تقول المصادر التاريخية إن بيع االسلاح وشرائه كانت عملية ميسورة ومتاحة للجميع ، ولم تكن تلك العملية ممنوعة ,ولا مقيدة ومن كان بمقدور أنصار الإمام الحسين شراء الأسلحة

المشابهة والمماثلة لاسلحة الحكومة في الكوفة وقد تم ذلك بالفعل وبإرادة من مسلم بن عقل - الإرشاد للمفيد ص 208 - ، كما إن المسلمين وغيرهم كانوا على علم بفنون *، الحرب

وأدواتها ، وعليه فلا مشكلة من هذه الناحية تواجه أنصار الإمام فيما لو ... قدر لهم الإشتباك والقتال مع قوات الحكومة

مع التأكيد إن للحسين أنصار في كافة المناطق والأمصار ، وهؤلاء مستعدون للدعم والمساعدة فيما لو طُلب منهم ذلك هذا من جهة ،ومن جهة أخرى فإن

للإمام دوره البارز المؤثر وقدرته على قيادة الناس ، بما لا يقاس مطلقاً مع وضع ابن معاوية وكراهية الناس له ، وحتى إن الإمام لما وبخ اهل الكوفة يوم عاشوراء بقوله : - سللتم علينا سيفاً لنا في أيمانكم وحششتم علينا ناراً اقتدحناها على عدونا وعدوكم) اللهوف ص 85 ، أنطلق في ذلك من إيمانه بقدرته وبالواقع الذي كانت تمثله كتبهم ورسائلهم ، يعني ذلك إنه يريد القول إن هذه القوى التي وقفت ضده يوم عاشوراء ، كان يجب أن تكون معه وضد عدوه العدو المشترك ، ويظهر ذلك جلياً بقوله : - (فأصرخناكم موجفين ؟)*اللهوف ص 85 - ، ولفظة (فأصرخناكم) تعني مساعدته في دعوته من أجل إقامة حكومة العدل ، يقول الشيخ الطوسي في رده على من قال : إن الإمام الحسن كان له من الجند أكثر مما كان لأخيه الإمام الحسين ! فيقول : من أين لهم بذلك وإن مقاتلة لإمام الحسن اكثر من مقاتلة الإمام الحسين ؟ ، بل الحقيقة على خلاف ما زعموا ومن يقرأ التاريخ يفهم ذلك * تلخيص الشافي ج 4ص 280 - ، وهو في ذلك يرد على من قال بأن قوات الإمام الحسن كانت أكثر من قوات الحسين ، وهو رد منه على ما ذهب إليه نفر من الخاصة ، بقولهم : ان عناصر النصر لم تكن متوفرة م للإمام الحسين كما هي بالنسبة للإمام الحسن من جهة عدد المقاتلين !! ، وضمن هذه المحددات والشروط لا يمكن للحسين أن يترك الناس ولا يصح منه ذلك ، طالما توفرة إليه أسباب النصر وعناصره ، كما لا يصح منه ترك الناس يواجهوا مصيرهم من غير أن يكون له موقف معهم في ذلك ، لقد كان واضحاً طبيعة حكومة يزيد وما كانت تقوم به من تعطيل للقوانين والأحكام ، وكذا سيادة النزعة القبلية والقومية على حساب قيم الإنسان ، إن الحسين واجب عليه أن يكون مع الناس مع توفر كل عوامل النصر الموضوعية ، وهو يسمع إستغاثات أهل العراق ومصر والحجاز

ودعوتهم له ليكون معهم في إنقاذهم من الظلم والعدوان ، إن عناصر النصر وأسبابه كانت متوفرة بحدود كبيرة ، وقد قلناها : في ضعف الحكومة والحاكم ، وماكانت تعانية الناس من ظلم وتعد ، وكذا وجود العدد الكافي من المتطوعين لنصرة العدل ، في ظل ذلك كانت إمكانية النصر واردة وبنسبة عالية ، وحتى لو قلنا بنسبة النصف أعني 50 % ، فإن ذلك يعني إن المسؤولية الأخلاقية والشرعية تدعوه للتصدي والنهوض والتحرك لمساعدة الناس ونصرتهم ، ويعني ذلك إنه ليس من العدل ان يترك الإمام الناس يواجهوا مصيرهم وقدرهم دونما أن يكون معهم ، وبعدما وضعوا امانيهم وآمالهم
بيده وتحت تصرفه ، وليس من الممكن ان لا يستجيب الإمام لنداء المستضعفين ، والمظلومين ولا يجيب استغاثتهم ! ، لأن العقل والمنطق وميزان الحكمة يقول لابد له من الإجابة ولا يصح منه ان يحرم
الناس من قيادته وحكمته وعدله ، بعدما ذاقوا الأمرين من حكومة معاوية الاستبدادية ... زهاء العشرين عاماً
فتلبية النداء هو شعور بالمسؤولية تجاه الناس وتجاه إيمانه ، ولذلك عزم على الخروج و التحرك نحو الكوفة ، إستجابة لنداء ودعوة أهلها ، وثانياً ليشاركهم العمل من أجل ، تأسيس دولة العدل والقانون
يقول الإمام علي في خطبته الشقشقية (لولا حضور الحاضر
قيام الحجة بوجود الناصر وما أخذ الله على العلماء ان لا يقارّوا على كظة
ظالم ولا سغب مظلوم لألقيت حبلها على غاربها) * - نهج البلاغة الخطبة رقم 3 - ، ويعني ذلك إنه تقدم للولاية والحكم بعد أن تمت الحجة عليه وبعد أن قدمه الناس ليكون خليفة لهم وقائدا ، ونفس الشيء فعله الحسين ومقفه تجاه دعوات أهل الكوفة وأهل البصرة ، ومدى جديتهم في ذلك للوقوف معه و إلى جانبه ، يظهر ذلك في - المئة سيف أو يزيدون - ، مع التأييد الذي أبدته الأمصار الأخرى ، تحرك الحسين بعد أن أطمئن لكتاب مسلم ووجد في ذلك إلزام ووجوب عليه ، ليلبي دعوة المظلومين وفي ذلك الطريق لا طريق أخر سوى ، النهوض والتحرك من أجل القضاء على حكومة الظلم الأموي ، فالإمام أراد أن يفتح
العراق . الكوفة والبصرة - ويطهره من الظلم والبغي
الاموي ، إسوة بما فعله النبي (ص) حينما فتح مكة ، نعم يوجد إختلاف بينهما من جهتين :
الأولى : إن جيش النبي (ص) الذي فتح مكة لم يكن أكثر من عشرة الآف سيف
الطبقات ج 2 ص 135 ، محمد بن سعد كاتب الواقدي طبع بيروت ، بينما كانت* قوات الإمام - مئة ألف سيف او يزيدون *اعيان الشيعة ج 4 ص 182 محسن الأمين طبع بيروت .
، والثانية : لما فتحت مكة كان جيش النبي (ص) قادماً إليها من الخارج بينما كان جيش الإمام من داخل الكوفة .

وما من شك أن يكون الفتح
من الداخل أسهل قياساً فيما لو كان الفتح من الخارج ، ولو قدر
للإمام الحسين دخول الكوفة ضمن تلك الشروط التي تحرك على أساسها ، لتمكن من النصر
وتحقق ماكان ينوي القيام به ، وفي هذا الإتجاه لا يجب التفريق بين ما كان ينوي الإمام
الحسين فعله ، وماكان فعله الإمام علي بالفعل ، وكلاهما كانا يشبهان في الفعل وفي الإرادة ما
فعله النبي من إجراءات يوم فتح مكة ، ولهذا لايمكن فصل فعل الإمام الحسين عن فعل
الإمام علي أو فعل رسول الله ، وليس في الأمر ما يدعوا للقول بأن فعل الإمام الحسين هو
. !!!! تكليف خاص
به وكأن الأمر وحي من السماء ، لا الأمر ليس كذلك إنما تم وفقاً لشروط موضوعية عرفها
الإمام وسار على أساسها ، ولهذا نقول : إن علامات النصر كانت باديه للإمام الحسين في
مسيرته نحو الكوفة ، : وذلك كان من قبل أن يلتقي بالحربن يزيد الرياحي ، هذا الذي منعه
من التوجه إلى كربلاء وحال بينه وبين ذلك ، أقول : إن إمارات النصر كانت موجودة
بالفعل قبل ذلك الحين ، وهذا ما أشار إليه السيد المرتضى علم الهدى في كتابه تنزيه الأنبياء
. ص 179. 182، وأكده الشيخ الطوسي في كتابه تلخيص الشافي ج 4 ص 182 . 188
وهذا يكفينا دلالةً التأكيد على إن الإمام الحسين ،
خرج من مكة مؤمناً بالنصر وتحقيق الأهداف ، وهذا القول الذي نتبناه تعضده جملة
: إجراءات كان قد فعلها الإمام ومنها مايلي
أولاً : ان الإمام الحسين لما هاجر إلى مكة وأستقر بها ، أقام سلسلة
من العلاقات مع أهل العراق - الكوفة والبصرة - ، فكتب لأهل البصرة كتاباً ، قال
فيه : (أما بعد ، فقد بعثت رسولي
إليكم بهذا الكتاب ، وأنا أدعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه ، فإن السنة قد
أميتت وإن البدعة قد أحييت ، وأن تسمعوا قولي وتطيعوا أمري أهدكم سبيل
الرشاد) * تاريخ الطبري ج 4ص 266
وقد فهم أهل البصرة وزعمائها فحوى الكتاب وما تضمنه من طلب للنصرة والعون والمساعدة
في تأسيس الحكومة العادلة ، وقد عبر عن ذلك الفهم أصدق
تعبير ـ يزيد بن مسعود النهشلي ـ الذي كتب للإمام جواباً - يبدي فيه
استعداده لنصرة الإمام * ، اللهوف ص 37 ابن طاووس . ، وطبيعي من غير الممكن ان
يدعو الإمام الحسين أهل البصرة لمساعدته ، وهو لا يعتقد بالنصر ولا في إمكانية تحقيق
.. ذلك
وثانياً : عندما خرج الإمام الحسين من مكة نحو العراق ، إلتقاه في منطقة الصفاح
الشاعر المعروف الفرزدق قادماً من العراق ، وحين سأله الإمام عن الكوفة وأحوالها
... قال الفرزدق : من الخبير سألت قلوب الناس معك ، وسيوفهم مع بني أمية
ينزل من السماء والله يفعل ما يشاء ، فقال له الحسين : صدقت ، لله الأمر
والله يفعل ما يشاء وكل يوم ربنا في شأن ، إن نزل القضاء بما نحب فنحمد ،

الله على نعمائه وهو المستعان على أداء الشكر ، وإن حال القضاء دون
الرجاء فلم يتعد من من كان الحق نيته والتقوى سريرته ، * تاريخ الطبري ج 4
. ص 290 والأرشاد ص 199
ومعنى جملة - إن نزل القضاء بما نحب
فنحمد الله على نعمائه
تعني إن المطلوب في الدرجة الاولى عند الإمام هو الوصول إلى الكوفة ، والعمل مع أهلها -
لتأسيس الحكومة العادلة ورفع
الظلم من على أهلها ، أعني إن كلام الإمام يتحرك وفق وبحسب القرائن التي كانت متوفرة
. لديه ، ولو لم يكن ذلك كذلك ، لما تصورنا كلام الإمام هذا
وثالثاً : ما كتبه الإمام الحسين من منزل (حاجر)إلى أهل الكوفة وزعمائها
الذين وقفوا مع مسلم بن عقيل وأيدوه في حركته ، قال : (أما بعد ، فإن كتاب مسلم بن
عقيل جائني يخبر فيه
بحسن رأيكم ، واجتماع ملئكم على نصرنا ، والطلب بحقنا فسألت الله أن يحسن
الصنيع ، وأن يثيبكم على ذلك أعظم الأجر (* تاريخ الطبري ج 4 ص 297
. والأرشاد ص 200
وفيه يظهر تفاؤل الإمام وسعادته بما قام به مسلم بن عقيل وأهل
) : الكوفة من عمل شاق ودؤوب لتأسيس قواعد الدولة الجديدة - وتابع يقول
وقد شخصت إليكم من مكة يوم الثلاثاء لثمان مضين من ذي الحجة يوم التروية :
فإذا قدم عليكم رسولي فانكمشوا في امركم ، وجِّدوا فأني قادم عليكم في ،
أيامي هذه) : *تاريخ الطبري ج 4 ص 297 والأرشاد ص 201 ، - وفي هذا الكتاب تظهر
نوايا الحسين واضحة في إقامة حكومة العدل ، ولا يكون كتابه هذا إلاَّ من خلال قناعته
التامة بإمكانية النصر وتحقيق ذلك ، إذ من غير المعقول ان يقول الإمام لأهل الكوفة جدوا
وانكمشوا في أمركم ، دون أمل وقناعة وإعتقاد في النصر ، ولو قيل
. خلاف ذلك لما صح في الأصل لأنه خلاف العقل ، الذي كان يتميز به الإمام ومعرفته للناس
ورابعاً : ما جاء في خطاب الإمام الحسين يوم عاشوراء حيث قال : (تباً لكم أيتها
الجماعة وترحا ، أحين استصرختمونا
والهين ، فأصرخناكم موجفين ، سللتم علينا سيفاً لنا في أيمانكم وحششتم علينا
ناراً أقتدحناها على عدونا وعدوكم ، فأصبحتم ألباً لأعدائكم على أوليائكم
بغير عدل أفشوه فيكم ، ولا أمل أصبح لكم فيهم) *اللهوف ص 85 ومقتل
الخوارزمي ج 2 ص 6 والتهذيب لأبن عساكر ج 4 ص 333 والأحتجاج للطبرسي ج 2 ص 24
.
ويعني ذلك إنه لم يتحرك إلاَّ وفق معطيات ووعود وعهود عُرضت عليه ، وأيدتها كتب مسلم
بن عقيل ، أي إنه لم يتحرك إلاَّ بعد أن آمن بالنصر وتحقيق الأهداف التي يسعى لها ، ولو لم
يكن

ذلك كذلك ، لما تحرك أبداً ، وهنا يطرح السؤال الدائم : لماذا خالف الإمام الحسين رأي ابن عباس وغيره من الشخصيات الذين منعوه من الذهاب إلى الكوفة ؟ ، وقبل الإجابة عن ذلك السؤال نقول : كان ممن دعى الحسين رجال من أهل الفكر والتقوى من أمثال حبيب بن مظاهر الأسدي ، وسليمان بن
صرد الخزاعي ، ومسلم بن عقيل ، وهاني بن عروة المرادي ، ومئات الشخصيات الذين لهم كامل اطلاع بأوضاع الكوفة وأحوالها ، وكانوا في دعوتهم له جادين ومصرين ، وطبعاً .. هذه الجدية وذلك الإصرار انما كان عن علم ودراية بواقع الكوفة وحقيقتها

ولكي نقول أي الفريقين كان على صواب ، لا بد لنا أن نستدرج كلام أبن عباس وكلام أبن عقيل - كمخالف وكموافق - ، ثم لننظر أي من الفريقين كان على صواب وأقرب إلى الواقع من الأخر ، والمنطق يقول : ان ابن عباس حين غادر العراق بعد صلح الإمام الحسن لم يعد إليه وسكن الحجاز ، ومن ذلك الوقت وحتى سنة 60
هجرية ، وهي سنة تحرك الإمام الحسين لم يكن على إطلاع كامل بما يجري في العراق والكوفة من تحولات وأحداث ، غير سماع ومخرون من ماضي قديم قارب العشرين عاماً ، وهذه مدة زمنية طويلة لم يستطع فيها التعرف على الواقع الإجتماعي للكوفة وأهلها ، مع الأخذ بعين الإعتبار إن الجيل الجديد الذي نشأ في هذه العشرين المنصرمة ، له رؤى وأفكار مختلفة عما كان سائداً أيام تواجد أبن عباس في الكوفة ، ولكن مسلم بن عقيل عاش معهم عن قرب ورأى وسمع وتحدث مع الجميع شباباً وكهولاً ، كما إنه أي مسلم كان رجلاً ذا بصيرة وحكمة ومعرفة ، عاش في الكوفة أربعين يوماً يستقرئ ويتحقق ويدرس ، لأنه في مهمة رسمية لا تقبل أنصاف حلول أو مشاعر ، و في مثل حالته تكون الاربعين يوماً كافية ، لرجل ذي تجربة وبصيرة وكان ثقة الإمام ، وهو مكلف بالتحقيق في آراء
الناس وزعماء الكوفة ومدى صحة مطالبهم ، وهل انهم فعلاً يريدون تغيير بنية النظام فيها ام لا ؟ ، * تاريخ الطبري ج 4 ص 242 والارشاد ص 183 ، ولما بعث للإمام بعد هذه الاربعين يوماً بعث واثقاً من إرادة الناس وجديتهم في طلب التغيير والإصلاح ، ولذلك جاء كتابه يحمل الامضاء التالي : (ان الرائد لا يكذب اهله إن جمع اهل
الكوفة معك فأقبل حين تقرأ كتابي والسلام * .تاريخ الطبري ج 4 ص 297) ، - وهذا الامضاء والتقرير لم يأت من عاطفة أو بناءاً على مارآه من هيجان وغضب جماهيري عام ، بل كان عبارة عن رسالة ميثاق وعهد وصيانة للتكليف المأمور به ، وفي هذا المجال يمكننا القول : إن مسلم بن عقيل كان أدرى وأعلم بأوضاع الكوفة وأحوالها من أبن عباس في هذا المجال ، ذاك الذي كانت تفصله السنيين والمسافات عن الكوفة ، ويقيناً إنه كان يجهل متطلبات الجيل الجديد ويجهل تفاصيل الحياة في الكوفة وما يرغبون وما يريدون بالضبط ، و حكمنا حول هذه القضية يقول : ان إجراءات مسلم بن عقيل واستقراءاته
أدق وأقرب إلى الواقع من كلام عبدالله بن عباس ، ولذلك رجح الإمام قول مسلم وكتابه . على قول أبن عباس ومخالفته ، ولهذا تحرك قاصداً الكوفة

مسلم بن عقيل في الكوفة

قلنا إن ابن عباس قد منع الحسين من التوجه نحو الكوفة ، وقلنا إنه في ذلك لم يستند على واقع دقيق ، غير قياس مبتور وظن ، فهو لم يكن على علم بالكتب والرسل التي كانت بين الإمام واهل الكوفة ، كما إنه لم يكن يعلم بالاخبار التي بعثها مسلم بن عقيل من الكوفة عن أوضاعها السياسية والإجتماعية ، كما إنه لم يكن يعرف الكثير من الاسرار العسكرية فالقادة لا يبيحون الأسرار حتى إلى أقرب المقربين ، حتى وإن كان ابن عباس وقربه من الحسين ، ولكن في هذه المسألة لم يكن معه وما يقوم به الحسين من الأسرار ، ولما لم يكن ابن عباس مستودعاً لسر الإمام ، فإنه حتماً لن يكون عالماً بما يجري من حوله ، وفي هذا الباب أقول : ان جميع الذين خالفوا الإمام في تحركه نحو الكوفة ، بنوا مخالفتهم له على جهل بما كان يقوم به ويفعله ، كما إنهم لم يكونوا على علم بوجود كم هائل من الأنصار والمحبين والداعمين له في مسعاه ، ويعني هذا إن الجهل وعدم العلم بما كان يقوم به الإمام كان السبب في مخالفتهم له ، ولو قلنا جدلاً : إن لأبن عباس علماً بما كان يقوم به الإمام في الكوفة ، لكان موقفه تماماً كموقف مسلم بن عقيل ومن دون مخالفة .

ولا يذهبن بكم القول ولا التخيل : إن الإمام لم يقم بالفعل الصحيح والتحقيق التام في أوضاع الكوفة وشؤوناتها ، ولو كان لأبن عباس علم بذلك لما قال للإمام : - (إني أتخوف عليك في الوجه الهلاك والاستصال) - *تاريخ الطبري ج 4 ص 288 - ، ولكن أليس الذي حدث بالفعل هو عين ما قاله ابن عباس بالضبط ؟

وفي هذا المجال ينبغي القول : - ان البحث والتدقيق والتحقيق عن الواقع أو في الواقع هو غير النتائج -

ومعركة أحُد دليلنا على ذلك ، إذ كان (عبدالله بن أبُي) زعيم المنافقين يخالف الحرب خارج المدينة ، وكان يتوقع الهزيمة للمسلمين ان حاربوا خارجها ، حيث قال : (على ما نقتل أنفسنا) ، *سيرة ابن هشام ج 2 ص 64 - ، ولكن رسول الله (ص) كان يرى إن النصر يكون للمسلمين إن هم صابروا ورابطوا حيث قال :(لكم النصر ما صبرتم) ، *الطبقات ج 2 ص 38 محمد بن سعد - ، وفي مجريات معركة أحُد حدث : أن حقق المسلمين النصر في الجولة الأولى من الحرب ، ولكنهم سرعان ما خسروا المعركة بفعل - ترك الُرماة لقمة جبل(عينين) - ، حينها إستطاع فرسان المشركين ، أن يأتوا المسلمين من خلفهم - ، ويوقعوا بهم شر هزيمة ، - *الطبقات ج 2 ص 41– 42

وهنا هل يصح القول : ان النبي (ص) لم يكن دقيقاً في حكمة الخروج من المدينة ؟ ، وإنه إنما خسر الحرب لذلك الفعل ، وهل يصح القول : إن أبن أبُي ـ كان أدق منه في تشخيص المصلحة ؟ وإذا كان ذلك ليس كذلك !!! ، بدليل إن المسلمين حققوا النصر في الجولة حين إلتزموا تعليمات ووصايا النبي ، وإنهم لم يخسروا لولا ترك الرُماة لجبل عينين وعدم إمتثال أوامر النبي ووصاياه ، وموضوعياً حدثت الهزيمة حين تصرف الرُماة من عند أنفسهم ، إذن فقد كانت الهزيمة أمراً أستثنائياً لا علاقة للنبي به ، والإمام الحسين لم يتحرك نحو الكوفة إلاَّ من بعد جهد ومتابعة وتحقيق دام زهاء الأربعة أشهر : (من شهر شعبان وحتى الثامن من ذي الحجة لسنة 60 للهجرة) ، ولو سارت الأمور حسب هذا الوضع وقبل اللحظات الأخيرة من تولي أبن زياد للحكم وولاية الكوفة ، لكان في الإمكان تحقيق النصر ، ولا بد من الإعتراف إن عمل مسلم بن عقيل كان كافياً في هذا المجال ، فهو قد وضح من غير لبس خمسة أمور هامة ألاَّ وهي :

1 - ضعف الحكومة والحاكم .

2 - وجود قوى متطوعة في المساعدة والحماية .

3 - تفكك البنية الإجتماعية والمعانات والحاجات الضاغطة .

4 - وجود فكر عام رافض لحكومة يزيد وحزبه الأموي .

5 - إيمان الناس بقياد الحسين لما تمتلك من صفات ومؤهلات .

نعم ان ما يجري خلف الكواليس غير قابل للرؤية العادية ، فأوضاع العراق قد تغيرت عندما تولى عبيد الله بن زياد الحكم في الكوفة ، يروى إنه دخل قصر الإمارة في الكوفة خائفاً *تاريخ الطبري ج 4ص 176 والارشاد ص 190 ، لكنه بعد حين أستطاع : أن يبسط نفوذه بالقوة والإكراه والجبر ، ويمكن القول : كما إن الرسول خسر الحرب في أحُد ، كذلك خسر الحسين الرهان على الكوفة بعد تولي ابن زياد الحكم ، وكما إن خسران معركة أحُد ليس من مثلبات رسول الله ، كذلك خسران الحسين للكوفة ليس قلة وعي وجهل من قبل مسلم بن عقيل ، ويجب التفريق بين هدف الحسين من تأسيس الحكم العادل وما كان يفعله عبدالله بن الزبير الذي يُريد هو الأخر تشكيل حكومة ؟

وربما يكون السؤال ، إذا كان الهدف هو النصر في الحرب !!! ، أذن فما هو الفرق بين رسول الله (ص) وأبي سفيان اللذين كانا يحاربان من أجل النصر ؟

والجواب : في معنى الفرق هنا لا ننظر إليه في الصورة الخارجية بل في الجوهر ، فرق في الطبيعة والمقتضى واللازم ، فرق بين من يُقاتل من أجل الحياة للناس كي يعيشوا بسلام وأمن ، وبين من يُقاتل من أجل الهيمنة والسيطرة وكسب المغانم ، إنه فرق في المبادئ :

فرق في الهدف : اي إن الهدف من الحرب هو الهيمنة والسيطرة ولكنه عند رسول الله كان من

. أجل الحرية والعدالة والقانون

وفرق في الوسيلة : أعني إن الطغاة لا يهمهم نوعية الوسيلة من أجل تحقيق الغرض ، ولكن أهل العدل يجب أن تكون الوسيلة عندهم نزيهة وصالحة ، ولا تتنافى مع القيم والأخلاق .

وفرق في النتيجة : أعني إن النصر في الحرب عند الطغاة هو الغاية ، ولكنه عند أهل العدل يكون النصر وسيلة لتحقيق العدل والقانون والنظام والعيش المتكافئ للجميع .

وقد بين الكتاب المجيد هذه الفروق بنحو يمكن قرائته على النحو التالي : (إن تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يجون) * ، وهنا نعود للتذكير بما قلناه في الملاحظة السابقة في معنى قول الإمام الحسين للفرزدق : - (إن نزل القضاء بما نُحب فنحمد الله على نعمائه هو المستعان على أداء الشكر وإن حال القضاء دون الرجاء فلم يتعد من كان الحق نيته والتقوى سريرته) *تاريخ الطبري ج 4 ص 290 والارشاد ص 199 ...

وهنا لا بد من طرد الفكرة القائلة و التصور القائل لدى البعض : بان الإمام ليس شخصاً عادياً ، بل هو رجل سماوي وقائد رباني !!!!! ، ولا ينبغي له أن يشغل باله بالحكم والحكومة !!! ، وهذا القول أو هذا التصور ، يبدو ساذجاً وغير منسجم مع واقع الحال كما إنه فكر مستورد ، إذ المعلوم بالضرورة إن القيادة الإجتماعية والسياسية في الإسلام عن القيم والمبادئ ، والسياسة فيه ليست فن الممكن وحسب بل تعني قيامة العدل والحرية والسلام ، ولا يصح منا توصيف الحسين انه قائد رباني ونفي صفته الزمنية وقيادته السياسية ، فقد ورد المأثور : إنهم أئمة الهدى وساسة مفاتيح الجنان ص 545 عباس القمي طبع بيروت دار احياء التراث العربي - .

والإمامة في التعريف الكلامي هي : - رئاسة عامة في امور الدين والدنيا نيابة عن النبي - الباب الحادي عشر للعلامة الحلي ، * والصحيح : - إن الإمام نائباً عن الرسول وليس عن النبي - ، لأنه لا تصح النيابة عن النبي ، بإعتبار النبوة شيء إلهي يصطفي فيه الله خاصة عبيده ، وأما الصحيح فالنيابة تكون عن الرسول بإعتباره حاكماً وإماماً وقائداً ، و الإسلام نظام حياة ولأنه كذلك فله نظرته الخاصة في قضايا الحياة من فكر وثقافة وقانون وإجتماع وقضاء بين الناس ، أقول : لو تولى الإمام الحكم فأنه سيتولى تطبيق النظام والقانون هذا وإجرائه وهذا جزء من تكليفه وواجب عليه ، ولا يقتصر دور الإمام على الجانب الإلهي من الرسالة ، وكما هو داعية لله كذلك هو عامل في سبيل تحقيق مصالح العباد الدنيوية ، كما لم يكن ممكناً تنفيذ كل الإصلاحات من غير أن يكون حاكماً وإماماً ، أعني إن الدعوة المجردة هي فكر تنظيري لا أثر له في الإصلاح الإجتماعي وقيامة العدل ، رأينا هذا في السنيين التي قضاها الرسول في مكة قبل الهجرة ، ولكنه لما هاجر إستطاع توسيع دائرة الدعوة للخير وجعل ذلك الشيء أكثر إنسجاماً وتنظيماً ، أسس فيما بعد لما يُعرف بالفتوحات لتمام الجزيرة والعراق وبلاد الشام ، ولا بد من القول : إن الإمام كالرسول في تنفيذ القوانين وإجرائها ، ولازم ذلك توافر الشروط الموضوعية - تلخيص الشافي ج 4 ص 182 الشيخ الطوسي طبع قم - ، وبما إن إجراء القوانين

... وتنفيذها واجب ، فوجود الأداة التي تقوم بذلك تكون واجبة كذلك ، والأداة هنا هي الحكومة

وأصولياً قيل : (إن مقدمة الواجب واجبة) * ، صحيح إن الحكم والحكومة هي مقامات دنيوية ، ولكن الصحيح إيضاً إن الدنيا لا تنفصل عن الآخرة في قضية العدل والنظام والقانون ، ولهذا تكون قيمتها فيما ينتج عنها ، قال الإمام علي لأبن عباس : يا ابن عباس ! ، ما قيمة هذه النعل ؟ ، قلت : سيدي ليس لها قيمة ، قال : والله إنها لأحبُ إليَّ من إمرتكم هذه ، إلا ان أقيم حقاً أو أدحض باطلاً ، * نهج البلاغة الخطبة 41 - ، وهذا ماكان يريده الإمام الحسين بالضبط من معنى قيام الحكومة العادلة ، نقرأ ذلك بقوله : (نحن أهل البيت أولى بولاية هذا الأمر) الإرشاد ص 205 المفيد - ، فهي عنده إذن وسيلة لتنفيذ وإجراء القوانين وتطبيق العدالة وليست هدفاً ، ولقد سعى الحسين لتكون تلك الوسيلة ممكنة ليحقق من خلالها النظام والقانون - وإذا ثبت اللازم كما يقولون ثبت الملزوم – ، لأن جميع الحقوق منوطة بها من حقوق وواجبات ، وبما إنها كذلك فلن يستطيع الإمام ان يصرف النظر عنها زهداً فيها وطمعاً في غيرها من العبادات والأعمال !!!!!! ، كما إن تركها مع توفر الشروط الموضوعية لتحقيقها تضييعاً للحق العام ، وذلك ليس من حقه !! مع توفر الشروط وثبوتها - ويكون القيام بها تكليف شرعي لا يمكن التنصل عنه - ، - ويعرف ذلك كل من له إطلاع بقضايا الفقه ومسائله ، بمعنى : ان التصدي ليكون الحق والعدل قانونا ذلك من الواجبات ، ويتأكد ذلك كلما تعلق بحقوق المجتمع والناس - والعدالة حق والنظام والقانون حق كذلك خلافة الناس حق : على من يتولاه وممن تتوفر فيه الصفات والشروط لذلك - ، والإمام الحسين هو من تتوافر به كل الشروط الموضوعية ليكون قائداً وحاكماً وخليفة ، وفي هذا قال الإمام علي : (* إنما طلبت حقاً هو ليَ وأنتم تحولون بيني وبينه) * نهج البلاغة الخطبة رقم 170 - ، ذلك لأن الحق بطبيعته يؤخذ ولا يُعطى ، و الإمام بحكم التكليف والواجب لا يترك هذا الامر ، ولولا ذلك لقلنا : ان الإمام بتركه لمسؤولياته عمت الفوضى واللانظام والتجاوز ، إذن فالمطالبة بالحق هي واجب شرعي ، ويتأكد ذلك الواجب إذا أرتبط بحقوق الناس وحاجاتهم ، وفي هذا الطريق لا يضر عدم الوصول إلى الهدف وتحقيقه مادام قد قام بما هو واجب عليه .

وهذا ما فعله الإمام الحسين بالضبط في قيامه ، مستخدماً كل الوسائل المباحة والشرعية ، وإنه لو لم يفعل ذلك ، لقلنا عنه : إنه قد تخاذل في نصرة الحق والمظلومين ، وقد أعطى في تخاذله المشروعية لحكومة يزيد ، يتبين من ذلك : ان العمل من أجل التأسيس لدولة العدل مع القدرة على ذلك أمراً واجباً وتكليفاً شرعياً .

يروى إن الإمام الحسين : قام في منطقة - التنعيم - وهو في طريقه نحو الكوفة ، بتفتيش ومصادرة القافلة المتجهة إلى بلاد الشام ، والتي كان قد بعثها (بحير بن ريسان الحميري) من اليمن إلى يزيد بن معاوية ، وعليها (الوروس والحلل) ، فأخذها الإمام الحسين وقال : لأصحاب الإبل لااكرهكم من احب ان يمضي معنا إلى العراق أوفينا كراه ، واحببنا صحبته ، ومن أحب ان يفارقنا من مكاننا هذا أعطيناه من الكراء على قدر ما قطع من الأرض ، قال : فمن فارقه منهم حوسب فأوفى حقه ، ومن مضى منهم معه أعطاه كراءه وكساه ، *تاريخ الطبري ج 4 ص 289 – 290 واللهوف ص 60 الأخبار الطوال ص 221 - ، ولكن هل هذا العمل جائز

ومبرر شرعاً من الإمام الحسين ؟ أي هل يجوز مصادرة أموال الغير بالقوة والإكراه ؟ !! ، وهل يتناسب ذلك الفعل بما للحسين من مقام وشأنية ؟ ، ونقول : إن فعل الإمام لم يكن مصادرة مال الغير ، ولكنه عملاً مباحاً ومشروعاً ، من حيث كون هذه الأموال هي :

1 – أموال بيت المال التي كان يجب أن تذهب لعامة المسلمين ، لا ليزيد وأعوانه ، يستخدمونها في أغراضهم الخاصة .

2 - ثم إن هذا المال يؤخذ ليزيد عنوة وغصباً ، قال الشيخ الطوسي : إن كل مال يُهدى للحاكم من غير وجه حق ، يُعد مالاً مغصوباً ، ويكون رده لمن يستحقه من المسلمين من الواجبات الشرعية - * تلخيص الشافي ج 4 ص 179 ، .

3 – ولأن الإمام يقوم بعملية إصلاحية عبر أو من خلال التأسيس لدولة العدل ، ولازم ذلك يحتاج بالضرورة إلى قدرة إقتصادية عاضدة للعملية الإصلاحية ، والعملية الإصلاحية ليست قضية تخيُلية بل لها ضوابط وآليات عمل أهمها الجانب الإقتصادي وقوته ..

إذن فلم يكن فعل الإمام مخالفة شرعية ، بل كان عملاً يستهدف تقوية خط الإمام وبرنامجه ، ولو أردنا الدقة الشرعية لقلنا : إن هذا الفعل منه هو أقوى دليل على صحة قيامته وأهدافها - ، ولأنه مباح ومشروع فلا ضير إن ممارسه المصلحين والثوار ، وكذلك يكون حجة ملزمة لهم وعليهم ، ولنا في هذا أسوة بالرسول محمد وما فعله بمطاردة قافلة أبي سفيان .....

قضية البيعة

لا بد من القول : ان الإمام الحسين لما بعث مسلم بن عقيل إلى الكوفة ، أمره أن يأخذ البيعة من أهلها ، والبيعة التي كان يُريدها الإمام تعني : ذلك العقد الذي يتم بموجبه التعهد بالطاعة لمن يعطونه البيعة ، والبيعة لغة : عقد بمعنى التولية ، يمسك اعيان البلاد يد من يولونه الخلافة ، علامة لقبولهم أياه وتعهدهم بطاعته والأنقياد له ، *المنجد ص 57 الاب لويس معلوب طبع بيروت ، وهي إصطلاحاً : من العقود التي تثبت بمجرد عقدها ، ويجب الإلتزام بها والوفاء ، وهي على أقسام ثلاث :

بيعة المتابعة

وهي إن يلتزم صاحبها بالوفاء لما تعاقد عليه ، مثل بيعة النساء حين دخلن بالإسلام ، إذ بايعن النبي على ان لايشركن ولايزنين ولايسرقن ، قال الله تعالى (يا أيها النبي أذا جاءك المؤمنات يبايعنك على ان لايشركن بالله شيئاً ولايسرقن ولا يزنين ولا يقتلن أولادهن ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن ولا يعصيعنك في معروف فبايعهن) الممتحنة /12

. وهي في الحقيقة بيعة متابعة للإسلام في أحكامه

بيعة الخلافة

وهي البيعة التي يتعهد صاحبها بالوفاء بها ، والوقوف خلف الخليفة الذي يبايعه ويناصره ويسانده ، كما حدث لأمير المؤمنين علي بعد مقتل عثمان بن عفان .

بيعة الجهاد

وهي البيعة التي يتعهد صاحبها بالوفاء بها عند الحاجة لها ، كالذين بايعوا النبي في الحديبية على السمع والطاعة والجهاد معه - *مجمع البيان ج 9 ص 113 طبع إيران الطبرسي - ، وهذا ما فعله أمير المؤمنين علي ، قبل معركة الجمل في ذي قار ، إذ أخذ - بيعة الجهاد - من الناس الذين حضروا ذلك ، * الأرشاد ص 117 ، والبيعة التي أخذها مسلم بن عقيل من أهل الكوفة هي بيعة الجهاد .

ويجب فيها الحرب مع الإمام الحسين ، قال الشيخ المفيد حول هذا الموضوع : (فدعا إلى الجهاد وشمَّر للقتال ، وتوجه بولده واهل بيته من حرم الله وحرم رسول الله ، نحو العراق لاستنصار بمن دعاه من شيعته على الأعداء ، وقدم أمامه ابن عمه مسلم بن عقيل للدعوة إلى الله ، والبيعة له على الجهاد فبايعه أهل الكوفة على ذلك ، * الارشاد ص 179 ، و لا هدف لهذه البيعة سوى الجهاد من أجل تأسيس دولة العدل ، فيما لو حاولت قوى السلطة منعه من ذلك ، روي الشيخ المفيد : - ان عبيدالله بن زياد ، قال لمسلم بن عقيل :(أتيت الناس وهم جمع فشتت بينهم وفرقت كلمتهم وحملت بعضهم على بعض ، فقال له مسلم : أتيناهم لنأمر بالعدل وندعو إلى حكم الكتاب)* الارشاد ص 215– 216 ، و لكن ما هي الوسيلة التي يمكن بها أن يأمر بالعدل ويدعوا إلى حكم الكتاب ؟

والجواب هو : ان الوسيلة الوحيدة التي يمكن من خلالها الأمر بالعدل واقامة الحدود هو - الحكومة - ، فهي المؤوسسة التي يمكن من خلالها تطبيق القوانين وإجراء العدالة ، والملاك الطبيعي لذلك ليس بالتمني ولا بالتخيل ، بل بالعمل وبالجهد ، ولعل كلام مسلم بن عقل دال على ذلك قال : (آتيناهم لنأمر بالعدل) ، يعني أتينا لتأسيس دولة العدل ، ولكن ذلك يكون إذا ما توفرت الشروط الموضوعية ، وقد فهم ذلك ابن زياد ولذلك قال لمسلم : (ان نفسك تمنيك ما ، حال الله دونه ، ولم يرك الله له أهلاً ،) * الارشاد ص 216

إذن فهدف الإمام هو تأسيس دولة العدل ذلك كان هدف الإمام ولا هدف له سوآه ، وأما القول : بأن الإمام ذهب للشهادة، يرده قول مسلم بن عقيل هذا إلى ابن زياد ، اذ من غير اللائق ان نفهم كلام مسلم بن عقيل هذا بأنه يُريد ، القول : إنما أتينا لكي نُقتل حتى لا نطبق العدل ، أي هراءً هذا !! ، كما إنه ليس من المعقول ان يقول ابن زياد لمسلم : انك تُمنِّي نفسك بالشهادة ، !!!!!! ولكن الله لم يراك أهلاً لها .

كما إنه لا يمكننا قبول قول القائل : إنه لم يكن للحسين من القوة والإمكانية ماتؤهله لتحقيق النصر وقيام دولة العدل !!! ذلك لأن هذا القول على عواهنه ينسب تعمد الخطأ من مسلم بن عقيل ،

عندما كتب للإمام الحسين (... ان جمع اهل الكوفه معك فأقبل حين تقرأ كتابي) * تاريخ الطبري ج 4 ص 297 ، ، والحق إن مسلماً كتب ذلك وهو بكامل الوعي والثقة والإيمان بما كتب وبما دعى إليه ، ولكن هل يجوز نسبة الخطأ في هذه المسألة لمسلم بن عقيل ؟ ، وثانياً : لو لم يكن مسلم بن عقيل ثقةً للحسين لما أختاره ليكون ممثله ونائبه في هذا الشأن ، ونسبة الخطأ في ذلك تجرنا للقول بخطأ الإمام في جعل مسلم بن عقيل ممثله ونائبه في هذه المهمة الخطيرة ، وهذا المعنى لا نقبله بأي وجه من الوجوه .

ونعود لنقول : إن مفهوم احياء السنة وإماتت البدعة ، ترتبط جدلاً بعملية القضاء على الظلم من على الناس ، وهذه المسألة لها جانب قانوني الزامي من جهة إتمام الحجة ، وبتعبير أدق : ان اتمام الحجة هو أداء للتكليف وشعور بالمسؤولية ، وأداء التكليف هو قضية احياء للواجب وطاعة لله ، وإتمام الحجة : عند الإمام تعني تأسيس دولة العدل والقانون ، وهذا من الناحية الموضوعية ولا علاقة لذلك بالنتائج اللاحقة ، أعني ما حدث لا حقاً من إجراءات حكومية حالت دون تحقيق الحسين لأهدافه ، وفي هذه الحالة لا يجوز القول : إن الإمام الحسين ونتيجة لما حدث لاحقاً ، لم يقم بالحجة والتكليف كما ينبغي ، والحق : إن إتمام الحجة من جهة الإمام تم في أتجاهين :

الأول : هو توفر الشروط الموضوعية التي كانت بمثابة الحجة عليه في القيام والنهوض لتأسيس دولة العدل .

والثاني : إنه بقيامته قد أتم الحجة على الناس .

وهنا سنطرح السؤال التالي : اذا كان للإمام قوى متطوعة جاهزة ومستعدة لنصرته !!!!! ،، فلماذا لم تأت هذه القوات من أجل مساعدته ونصرته في كربلاء ؟ وإنهاء حكم يزيد !!!! ، وهذا السؤال التراكمي يعود بنا للبحث في ماهية جيش علي بن أبي طالب في صفين ، ولماذا خسر الحرب وقبل بالتحكيم مع معاوية ؟

والجواب هو : يقع في دائرة التحايل والخديعة التي فعلها - عمرو بن العاص بالتعاون مع الأشعث بن قيس - من رفع المصاحف على الرماح والمنادات بين الناس : هذا بيننا وبينكم و لا حكم إلاَّ للقرآن - ، ولولا ذلك أعني لولا قوى الضغط التي أستخدمت مع هذه الحيلة لما رضي ورضخ علي بن أبي طالب للتحكيم ، ولو لم يكن ذلك كذلك لما ردد قائلاً : (لا رأي لمن لا يُطاع) ، كررها مرات عديدة ، يعني هو في ذلك قد فقد شروط النصر المادية الموضوعية الممكنة ، وهو نفس الشيء الذي جرى في الكوفة وأدى إلى تبدل موازين القوى لمصلحة يزيد وحزبه ، من خلال جملة إجراءات و عمليات سريعة أبتدأت بإغلاق الحدود ، وقطع الإتصالات مع الحسين من جهة اصحابه ، ومحاصرته في كربلاء عندما أنزل فيها عنوةً ، عندها أصبح النصر غير ممكناً .

ومن هنا يمكن القول : إن السبب الرسمي والرئيسي لعدم الإنتصار في صفين وفي كربلاء يعود بالدرجة الأولى : إلى إنقطاع الصلة بين القيادة والتابعين من جند ومناصرين ، مع فارق هنا وفارق هناك ، ففي معركة صفين كانت قوى النفاق تثير الشقاق وتعمد على قطع الإتصال ، في حين كان الوضع في الكوفة قد تغير ، نتيجة لسيطرة عبيد الله بن زياد على الحكم وإغلاقه لحدود الكوفة .

وليس لعاقل أن يقول : إن سبب قطع الإتصال بين الحسين وأنصاره في الكوفة هو مسلم بن عقيل !!!! ، ولا يصح كذلك القول : إنه لم يشخص حال الكوفة وأهلها على نحو دقيق وصحيح !!!! ، ولكن الصحيح الذي يُقال : ان مسلم بن عقيل قام بواجبه المُكلف به على نحو دقيق ومسؤول ، قام به بكفاءة ودراية ودقة تامة ، ولكن الذي حدث بالفعل كان مغايراً لجميع التحقيقات التي قام بها مسلم ، فعبيد الله بن زياد كان قد تولى الحكم حديثاً في الكوفة ، وقد استطاع عبر وسائله المختلفة والمتعددة ، أن يحصل على مكان مسلم بن عقيل السري عن طريق أحد جواسيسه ، والذي أخبره بأن مسلم بن عقيل ، ينزل في بيت هاني بن عروة المرادي ، وقد طلب أبن زياد من هاني إحضار مسلم بن عقيل إليه ، وتسليمه إياه ، وقد أمتنع هاني في الرد على طلب أبن زياد هذا ، مما أثار في نفسه الحنق والحقد قائلاً : أدنوه مني ، فدنوه منه فأعترض وجهه بالقضيب ، فلم يزل يضرب أنفه وجبينه وخده ، حتى كسر أنفه وسال الدم على وجهه ولحيته ، *الارشاد ص 209 - ، فإبن زياد قد علم مكان مسلم السري ، وفي هذه الحالة كان على مسلم بن عقيل أخذ جانب الحيطة والحذر والعدة لكل إحتمال ، ومنها المواجهة العسكرية وقد تجمع لمسلم بن عقيل أربعة آلاف من أنصاره - * الارشاد ص 210 ، قال صاحب الإرشاد الشيخ المفيد في الصفحة 211 : - إن مسلم بن عقيل كان قد عقد لرؤوس الأرباع على القبائل ، وأصبح هو قائداً لتلك الجموع - ، ولكي تصل هذه الجموع إلى قصر الإمارة كان يجب عليها المرور بشوارع الكوفة وأزقتها ، ومع إن ابن زياد كان قد القى خطاباً هدد فيه مسلم بن عقيل وتوعده ، ولكنه لم يستطع المواجهة فلاذ مختبئاً بالقصر هو ومن معه . ، *الارشاد ص 211 - ، قال الطبري والمفيد : - إن مسلم بن عقيل تمكن من حصار القصر لمدة قصيرة ، تمكن بعدها أبن زياد من فك حصار القصر * تاريخ الطبري ج 4 ص 275 والارشاد ص 211 ، وتابع الطبري القول : - كان مع عبيد الله بن زياد خمسين رجلاً من أصحابه - ، * تاريخ الطبري ج 4 ص 276 والارشاد ص 211 ، * الأخبار الطوال ص 217 ..

: وفي ذلك الحين كان أبن زياد قد قام بإجراءات إحتياطية منها إنه

1 – أمر - كثير بن شهاب - ان يخرج للناس بمن أطاعه من مذحج ، فيسير في الكوفة ويخذل الناس عن ابن عقيل ويخوفهم الحرب ويحذرهم عقوبة السلطان ، * تاريخ الطبري ج 4 ص 276 ، والارشاد ،ص 211

2 – وأمر - محمد بن الأشعث - ان يخرج للناس بمن أطاعه من كندة وحضرموت ، ويرفع رآية أمان لمن جاءه مسالماً ، *الارشاد ص 211 .

وأمر - شمر بن ذي الجوشن وشبث بن ربعي - ان يخرجوا للناس من القصر - 3 . ، ويدعوا إلى الأمان

وقد نصبت لهذه الغاية خمس رايات أمان في الكوفة في مناطق متفرقة منها ، وكانوا هؤلاء يدعون الناس للإبتعاد عن الحذر والخوف من إنتقام الحكومة ، ونتيجة لجو الترهيب الذي أحدثه ذلك الفعل ، وما تلاه من إعتقالات لأنصار مسلم ، وما قام به كثير بن شهاب ومحمد بن الاشعث والقعقاع بن شور الذهلي ، دخل تحت رآيات الأمان التي نصبوها جماعة ، مستسلمين لأبن زياد وأعوانه * أنظر تاريخ الطبري ج 4 ص 276 والارشاد ص 211 ، لقد كانت دعاية أبن زياد وجماعته مؤثرة ، فقد تسرب إلى البعض الخوف من الترهيب والوعيد الذي قاله كثير بن شهاب : (أيها الناس ألحقوا بأهليكم ولا تعجلوا الشر ، ولا تعرضوا أنفسكم للقتل ، فإن هذه جنود أمير المؤمنين يزيد قد أقبلت ، وقد أعطى الله الأمير لئن أتممتم على حربه ، ولم تنصرفوا من عشيتكم أن يحرم ذريتكم العطاء ، ويفرق مقاتلتكم في مغازي اهل الشام على غير طمع ، وأن يأخذ البرئ بالسقيم والشاهد بالغائب ، حتى لا يبقى له فيكم بقية من اهل المعصية إلا أذاقها وبال ما جرت أيديها ، فلما سمع الناس مقالته أخذوا يتفرقون وأخذوا ، ينصرفون ،) * تاريخ الطبري ج 4 ص 277 والارشاد ص 211

وقد رافق كل تلك الأعمال عنف موجه من جماعة أبن زياد على مسلم بن عقيل وأعوانه ، وقد عاشت الكوفة في ذلك اليوم لحظات عصيبة ، تراجع فيها الكثير ، وتخلوا عن مكانتهم خوفاً وطمعاً ، يروى إنه : مع حلول المساء لم يبق مع مسلم من أصحابه أحد ، حتى أمسى وما معه ثلاثين نفساً في المسجد على رواية الطبري ، يقول الطبري : - إنه لم يبق معه أحد إلا أولئك النفر ، فخرج متوجهاً نحو أبواب كندة فلما بلغ الأبواب ولم يبق معه سوى عشرة منهم ، فلما خرج من الباب وأذا ليس معه إنسان يدله على الطريق أو على منزل يأويه ، حتى أنتهى إلى باب إمرأة يقال طوعة ، * تاريخ الطبري ج 4 ص 277 والارشاد ص 212 ، ولو تدبرنا الحدث هنا سنجد إن ما حصل في صفين هو نفسه الذي حصل في الكوفة ، وكما إن جيش الإمام علي وقع ضحية لمؤامرة خبيثة ، أدت إلى تفرقه وتبعثره نتيجة لمكيدة - عمرو بن العاص - ، كذلك هو حال جماعة مسلم بن عقيل التي تقطعت بينهم الروابط والإتصالات التي قام بها ابن زياد وأعوانه ، وأمام تلك الحقيقة الموضوعية وتبدل موازين القوى حسب الواقع الجديد ، لا يصح أبداً إلقاء اللوم والمسؤولية على مسلم بن عقيل ، والقول : إنه لم يكن قد قرأ واقع الكوفة وأهلها قرأةً . !!! صحيحة

ان إلقاء المسؤولية على مسلم بن عقيل في مجال دقة المعلومات ووضع الكوفة واهلها ، عمل يفتقد للشعور بالمسؤولية إذا ما علمنا إن مسلم بن عقيل كان يعمل ما بوسعه ، لتشكيل نواة لجيش مخلص ونزيه يكون بمثابة قاعدة إرتكاز يستقبل فيها الإمام الحسين حين يدخل الكوفة ، ولا بد من التذكير هنا بان مسلم بن عقيل لم يقطع كل الجهات المؤدية إلى قصر الإمارة ، ولهذا رأينا الكثير من زعماء الكوفة ورؤساء القبائل ، يدخلون القصر ويخرجون منه عبر البوابة المجاورة لدار الروميين ، ومنها بعث ابن زياد - كثير بن شهاب - وغيره إلى داخل الكوفة ، من أجل تفريق الناس عن مسلم بن عقيل ، ومنها كذلك دخل المناصرين لعبيدالله بن زياد

،*تاريخ الطبري ج 4ص 276 والارشاد ص 211 ، والسؤال الذي يُطرح هو : لماذا لم تقطع علاقة ابن زياد بالخارج ما هو السبب في ذلك ؟ وماطبيعة البناء وكيفيته في تلك الأعصار ؟ خاصةً تلك الجهة القريبة من دار الروميين !!! وكيف كانت حالة الطرق المؤدية إلى القصر أنئذآك ؟ ولماذا لم تستطع قوات مسلم التي يقولون إنها تقدر بأربعة آلاف مقاتل أن تحاصر القصر من كل الجهات - تاريخ الطبري ج 4 ص 275 والارشاد ص 211 * ؟

طبيعي إننا الآن وفي القرن الخامس عشر للهجرة لا نستطيع ان ندلي بمعلومات دقيقة عن كيفية البناء ونمطية الشوراع وهندسة المدينة ، ولا نستيطع تصور حال الكوفة وقصر الإمارة أنئذآك ، ولا ندري العلة الواقعية التي جعلت جيش مسلم لم يستطيع محاصرة القصر بالضبط من جانب دار الروميين .

قد يُقال في التعليل : إن قوات مسلم بن عقيل كانت فقيرة العدة والعتاد ، لأنها لم تكن تمول من بيت المال ، مما يوفر الإكتفاء الذاتي وعدم الإحتياج ، وما هي في الواقع سوى جماعة أعدت نفسياً لإستقبال الإمام الحسين حين يدخل الكوفة ، وهي لهذا السبب ليست قوات حربية وعسكرية مؤهلة ، وحين قامت بمحاصرة قصر الإمارة فقد قامت بذلك مدفوعة بالعاطفة ، ودون ترتيب وتنظيم وإستعداد ، قال أحد الأعلام : إن علة عدم غلق منفذ باب الروميين ، لأنه كان في موقع فرعي وغير معد للعبور والمرور ، وإن جميع الشوارع والبيوت في أطراف الباب متصلة مع بعضها بالطريق الرئيسي ، كما كان حال المدن العسكرية في السابق - ، قال الطبري والمفيد : تفرق الناس عن مسلم بن عقيل ولم يبق معه أحد يدله على الطرق - !!!! ، تاريخ الطبري ج 4 ص 277 والارشاد ص 212 ، وفي رواية أخرى قال الطبري : - إنه كان مع مسلم بن عقيل ، حبيب بن مظاهر ، ومسلم بن عوسجة ، وابو ثمامة الصائدي ، وكان بعضهم من قادة جيشه ، أذ عقد لمسلم بن عوسجة الأسدي على ربع مذحج وأسد ، وعقد لأبي ثمامة الصائدي على ربع تميم وهمدان *تاريخ الطبري ج 4 ص 275 - ، وهؤلاء كانوا من أخلص الرجال ومن أبرز شهداء وقعة كربلاء ، وقد إلتحقوا بالحسين في كربلاء بعد إستشهاد مسلم بن عقيل !!! ، وإذا كان ذلك كذلك ، فكيف يمكننا تبرير رجوع مسلم بن عوسجة وابو ثمامة الصائدي إلى منازلهم وترك مسلم بن عقيل وحيداً يجابه قدره ؟ ، يجرنا هذا للسؤال عن الواقع الذي كانت تعيشه الكوفة في مراحلها الأخيرة تلك ، أقول : ما هي الأعمال التي قامت بها قوات ابن زياد حتى أستطاعت قطع الرابطة بين مسلم واصحابة ، حتى انه لم يكن معه أحد منهم يدله على منزل ؟ !! * ، تاريخ الطبري ج 4 ص 277 ، طبيعي إنه لو كانت هناك إتصالات وروابط بين مسلم بن عقيل وأصحابه ، لتمكنوا من إخراج مسلم بن عقيل من الكوفة ، ولتمكن مسلم من الإلتحاق بالإمام الحسين في كربلاء ، ولتمكنوا هم من إعادة تنظيم صفوفهم ، ولأن تاريخ قيامة الحسين كُتب في القرن الثاني للهجرة لهذا لم يستطع المؤرخين توضيح جميع مفردات وجزئيات قيامته عليه السلام ، ولهذا نجد الضعف واضح في كتابة هذا الجانب أعني ما يرتبط بجماعة مسلم بن عقيل ، والمشكلة أو قل الإشكالية لا زالت قائمة من جهة التاريخ حتى يومنا هذا ، وظلت تلك التساؤلات على حالها دون جواب من التاريخ ، يرفع هذا الإشكال أو يساهم في تأويله بالمنحى الطبيعي ، وتبقى قضية قطع الإتصال بين مسلم بن عقيل وبين أنصاره المؤمنين مجهولة وغير معلومة حتى اللحظة !!!! ، ومادام الأمر كذلك ، فلماذا نلقي باللوم والمسؤولية

على مسلم بن عقيل و نتهمه بالضعف وعدم القدرة ؟ ، إن إلقاء المسؤولية على مسلم بن عقيل هو عدم إنصاف بيِّن ، وتعد من المؤلفين والكتاب على رجل الفداء والإخلاص ، ومثل مسلم بن عقيل لا يُتهم بالضعف وعدم القدرة ، * هامش الكامل في التاريخ ج 3 ص 217 عبد الوهاب النجار .

يذهب البعض من المحلليين إلى إن قضية التبدل في قناعات الناس يخضع بالضرورة ، إلى التبدل بالطبيعة الموضوعية للواقع ، ومن ذلك قضية الإستعداد للتغيير ، وهذا التصور يمكننا تطبيقه على ما جرى في الكوفة من أحداث عندما كان مسلم بن عقيل فيها ، والحق أقول : إن قضية التبدل في القناعات - نسبية - ككل الأشياء الأخرى ، والحال ينطبق كما قلنا على أهل الكوفة فهم ليسوا نسخة واحدة وليس هم على قلب رجل واحد ، أو على إستعداد محدد معين ومعلوم ، بدليل إن روحية الشعوب ونفسيتها ليست ثابتة وليست جامدة ، وإنها تتبدل وتتحول وتتغير وبشكل دوري وبحسب الواقع الموضوعي ، بما فيه من تحولات سياسية وإجتماعية وثقافية وعلمية ، وهذه التحولات نسميها صيرورة إجتماعية تُصيب المجتمعات نتيجة لتغير النظم السياسية ، مقرونة بشرائطها الموضوعية فإذا توفرت لها كانت نتائجها باهرة ومتقدمة ، يروى إن الأوس والخزرج كانت من أشد القبائل عداوة ، وكانت النزاعات الدموية تتوارثها الأجيال جيلاً بعد جيل ، ولكن هذه الصورة العدائية التي يرسمها المؤرخون ، قد ولت واندثرت بعد دخولهم في الدين الجديد وإيمانهم بقيادة جديدة ، وهي قيادة النبي محمد وقد ساهموا جميعاً ببناء دولة المدينة الجديدة ، وهذا التحول والتبدل شاهد على ما ذهبنا إليه من حيث التصور والإمكانية ، ولك أن تقول إن هناك شروطاً موضوعية دفعت لهذا التحول منها :

إن الأوس والخزرج قد ملوا الحرب الطويلة بينهما ، وإنهم وجدوا صورة الحل بوجود القائد الجديد ، الذي استطاع تغيير قناعاتهم وأرآئهم السياسية والفكرية ، وإخراجها من كونها مجرد تفكير بالهوامش والجزئيات ، إلى تفكير بالأمور الكبيرة وتشكيل الحكومة وتنظيم المؤوسسات ، ولن يكون ذلك ممكناً من غير توفر القيادة التي يؤمن بها الناس ويطيعون أوآمرها ، ولو تتبعنا الواقع الإجتماعي للكوفة في تلك المرحلة فإننا لم نجد ذلك الإختلاف والتنازع بين قوآها الإجتماعية وقبائلها ، ولهذا فإمكانية التحول السياسي في الكوفة مع توفر الشروط الموضوعية شيء طبيعي ، وكان لأهل الكوفة الدور الحاسم مع أمير المؤمنين علي في معركة الجمل وكذا في صفين ومع الخوارج ، قال الشيخ المفيد : - إن أمير المؤمنين قبيل معركة الجمل خطب فيهم قائلاً : .. يا أهل الكوفة ، إنكم من أكرم المسلمين واقصدهم تقويماً ، واعدلهم سنة ، وأفضلهم سهماً في الإسلام ، وأجودهم في العرب مركباً ونصاباً ، أنتم أشد العرب وداً للنبي واهل بيته ، وإنما جئتكم ثقة بعد الله بكم ..... الارشاد ص 133 المفيد - ، وكذا إنه قد مدحهم في موضع أخر وبعدما حقق على يديه الله النصر في معركة الجمل : - جزاكم الله عن أهل بيت نبيكم أحسن ما يجزي العاملين بطاعته ، والشاكرين لنعمته ، فقد سمعتم ودُعيتم فأجبتم * نهج البلاغة الرسالة رقم 2.

ملاحظة

مر عندنا كلام من علي بن أبي طالب إنه قد خص أهل الكوفة بالمدح والكلام الطيب ، وهذا يجعلنا نتسائل ، كيف لعلي بن أبي طالب في موضع أخر يوبخ أهل الكوفة ويذمهم ، كما روى ذلك الشيخ الطوسي : - (يا أشباه الرجال ويا أحلام الأطفال ، وعقول ربات الحجال ، .. والله لوددت أني لم أركم ولم أعرفكم معرفة والله جرت ندماً ، وورثت صدري غيضاً ، وجرعتموني الموت نفاساً وأفسدتم علي رأيي بالعصيان) * البيان والتبين ج 2 ص 53الجاحظ طبع بيروت ، فهل بين المدح والذم منه إلا تناقض صريح ؟ ، ونفس الشيء نقوله عن الحسين حين أمتدح أهل الكوفة بالقول : - (فسألت الله أن يحسن لنا الصنيع ، وأن يثيبكم ، * على ذلك أعظم الأجر) الارشاد ص 220

وعندما ذمهم ووبخهم في عاشوراء بالقول : - (تباً لكم أيتها الجماعة وترحا) * اللهوف ص 85 ابن طاوس ، فهل هذا إلا تناقض صريح ؟

والإجابة عن هذا السؤال : لا بد أن تؤخذ في سياقها الموضوعي أعني لا بد من النظر إلى الطبيعة المجتمعية القابلة على التغير والتبدل بحسب الواقع الموضوعي نفسه ، ودليلنا الجماعة التي بايعت النبي - بيعة الرضوان - والتي رضى الله عنها ، لكن هذه الجماعة أو بعض منها ، قد تخلفت عن جيش أسامة بن زيد ولم تلتحق به ، حتى لعنهم النبي !! - سيرة المصطفى ص 685 هاشم معروف الحسني . طبع بيروت

أعني إن المدح والذم صفات ترتبط بالواقع الموضوعي الذي تعيشه الجماعة البشرية ، ويكون مدح الإمام لهم في اللحظة التي كان إستعدادهم ضمن الشروط الموضوعية واضح وأكيد ، والعكس صحيح ، ولا يتعلق الأمر بالعصمة كما يظن بها أهل الكلام : - صحيح إن لازم العصمة عدم التناقض - ، ولا نريد الخوض في هذا البحث ، ولكن نقول لمن يريد - راجع عقايد الشيعة للكاتب هاشم معروف الحسني - ، نعم يمكننا رد دعوى التناقض إن تمكنا من - تأويل الحديث - ، بحيث لا يكون التأويل معارض لجوهر الكتاب المجيد ، وبما إن الكلام عن الحديث فلابد من إعتماد الطريق الصحيح في فهمه والتحقق منه ، وللعلم فقط نقول : إن الكثير من الأخبار والروايات جاءت بلسان الحال . و لهذا لا يعتد بها ولا يعتمد عليها كثيراً ، والتوقف فيها أسلم

الموقف من أهل الكوفة :

لكننا نقول في الإتجاه هذا : إن الإمام حين يمتدح أهل الكوفة ، فهو يعني بعضهم بكل تأكيد لا جميعهم ، هو يعني أولئك الرجال المخلصين منهم ، ولا يعني أولئك المنافقين وأهل الفتن ، وهذا اللون من الإستخدام اللغوي جار في لسان العرب : إذ يُطلق الكلام على الجميع ويُراد منه البعض ، ولا ضرر في ذلك حرج في هذا الإستخدام ، فقد ورد في خطاب موسى لقومه في هذا السياق قوله :- (... ظلمتم أنفسكم بإتخاذكم العجل ، فتوبوا إلى بارئكم فأقتلوا أنفسكم) * البقرة / 53 وراجع في معنى الآية تفسير أطيب البيان ج 2 ص 54 ، والخطاب كما هو ظاهر منه لا يشمل جميع قوم موسى ، بل كان يخص أولئك الذين عبدوا العجل ، مع إن الخطاب يوحي وكأنه يريد الجميع والكل ، وهذا ما فعله الحسين بالضبط يوم عاشوراء ، خاطب الجميع وأراد البعض في قوله : - (فإنهم غرونا وخدعونا وخذلونا) * مفاتيح الجنان ص 165 طبع المكتبة الإسلامية ضمن أعمال الثالث من شعبان ، أو برواية الخوارزمي : - (فإنهم غرونا وكذبونا) * مقتل الخوارزمي ص ج 2 ص 8 ، ونفس الشيء فعله الإمام السجاد حين خاطب أهل الكوفة قائلاً : (إنكم كتبتم إلى أبي وخدعتموه) *اللهوف ص 140 ، والإمام السجاد : في خطابه هذا أراد البعض وليس الكل .

و حمل كلام الإمام على الظاهر أولى في عرف المتشرعة ، ولهذا يحمل كلامه على الحقيقة لا على المجاز ، ولا يتعلق الأمر بالعلم اللدني بل بما هو واقع بالفعل ، ودليلنا على ذلك فعل أمير المؤمنين مع ولاته إذ كتب إلى واليه - المنذر بن الجارود - بعد ان سمع بخياته لبيت المال قال : - (ان صلاح أبيك غرني منك) * نهج البلاغة الرسالة 71 ، وهكذا فعل النبي بالجماعة التي كذبت عليه بتأخرها عن اللحاق بمعركة تبوك ، وسماح النبي لهم بذلك فنزل قوله تعالى : - (عفى الله لم أذنت لهم ، حتى يتبين لك الذين صدقوا ، وتعلم الكاذبين) * التوبة / 43

ولا شك ان المقولة التي تزعم بأن اهل الكوفة كلهم منافقين !!!!! ، مقولة مُربكة وفيها من التآمر والدس الكثير ، وفي هذا السياق شاع بين الألسن إن : - (الكوفي لا يوفي) - ، ومعنى ذلك عندهم إن جميع أهل الكوفة بل جميع أهل العراق كذلك !!! ، ولقد حاولنا البحث عن مصدر تلك المقولة في كتب التاريخ المعتبرة فلم نجد لها ذكرا ، إلاَّ عند الاسفرائيني صاحب كتاب نور العين وفي الصفحة 20 ، والكتاب ساقط من الإعتبار لدى أهل التحقيق والباحثين من الدراية ، ثم إن ذلك إطلاق منه ودونما نظر وتدقيق ظروف تلك المرحلة وشروطها ، وعملية التغير المجتمعي الطبيعية ، إنما تتم ضمن شروط معينة

وقاهرة أحياناً ، فإذا توفرت الشروط توفر اللازم للتغيير و العكس بالعكس .
ثم ان عملية الإصلاح في فكر الإمام تعني : - تغيير في البنى العامة للمجتمع ، وتغيير في نمط التفكير فيما يخص قضايا الدين والسياسة ، وإصلاح مؤوسسة الحكم - ، وقد كانت القوى المجتمعية في الكوفة جميعها مع تلك العملية ، إلا البعض المنافق الذي لا يمثل الأكثرية كما لا يخفى ، وحين نقول الأكثرية فنحن ننظر للتاريخ إذ : بعد مضي سنوات قليلة على - وقعة كربلاء - قامت في الكوفة حركة ثورية بقيادة الصحابي الجليل - سليمان بن صرد الخزاعي - ، والتي سُميت بحركة التوابين ، وفيها أيضاً أستطاع - المختار بن أبي عبيدة - من تأسيس حكومة كبيرة سيطرة على مناطق واسعة من البلاد الإسلامية ، و شعار المختار كان – يالثارات الحسين - ، وهذا يعني كم كان أهل الكوفة يحبون الحسين ، ويقيناً كان حبهم له أضعاف ما كان لسليمان بن صرد وللمختار بن ابي عبيدة ، بل انهم أطاعوهم حباً بالحسين وبيالثارات الحسين ...
ولكن كيف سيطر ابن زياد على الكوفة ؟
فهذا الأمر مرتبط بطريقة الفعل الذي أتبعه فيهم ، فقد قيل : إنه أخذهم بالمكر والحيلة والإستدراج - ثم بالفتك بهم كما فعل بمسلم بن عقيل وبعد أن أعطاه العهود والمواثيق ، وطبيعي حين يؤخذ القائد على حين غفلة سينهزم المريدين والأنصار ، وفي ذلك لا يكون القائد أو التابعين ملومين ، طالما كان الأمر كله خارجاً عن الإرادة ، حدث هذا مع النبي يوم أحد وحدث معه في حنين ، وأهل الكوفة هم ليسوا فئة واحدة أو نموذجاً واحداً ، بل هم أقسام أربعة متفرقة : منهم المخلصون كحبيب بن مظاهر ومسلم بن عوسجة وأمثالهم ، ومنهم البسطاء السذج ، ومنهم المنافقين أولئك الذين يسعون وراء مصالحهم الدنيوية ورغباتهم الشخصية ، و تتغير مواقفهم تبعاً لتغير الظروف ، وهؤلاء موجودون في كل عصر ومصر ، أمثال عمرو بن الحجاج الزبيدي وشبث بن ربعي وحجار بن أبجر ، ومنهم الفاسدون وأصحاب الهوى وهم نوعان ، ومن الطبيعي القول وبحسب التصنيف ، سيكون المنافقين والفاسدين أصحاب المصالح مع الحسين فيما لو تمكن من دخول الكوفة ، وهذا القول يجري في كل المجتمعات وفي كل زمان ، و لو قدر للإمام الحسين الدخول إلى الكوفة فإنه يستطيع التصدي لحكومة يزيد في الشام ، تلك الحكومة المنهكة والضعيفة ، ولكان في الإمكان الإنتصار عليها وإقامة دولة العدل في جميع الأمصار الإسلامية ، خاصةً وإن حكومة يزيد كانت تعاني في مكة من

حركة عبدالله بن الزبير - الكامل في التاريخ د 4 ص 19 - ، وكان أهل حداث ودشتي واهل الديلم قد ثاروا على يزيد * ، أبو الشهداء ص 114 طبع القاهرة - ، وهذا يجعلنا القول : أن لو أستطاع الإمام - دخول الكوفة - ، فإنه سيتمكن حتماً سيلحق الهزيمة بيزيد وجيشه ، خاصةً والكل يعلم ما للحسين من شخصية قريبة ومحببة لدى الناس - ، الكامل في ا لتاريخ ج 4 ص 20 ، يقول أبن الأثير في الكامل : - إنه ثلاث سنين من هلاك يزيد ، تنحى - معاوية بن يزيد - عن الحكم ، وقرر مروان بن الحكم مبايعة عبد الله بن الزبير * ، الكامل في التاريخ ج 4 ص 145 والأخبار الطوال ص 209 ، وإذا ذلك كذلك ، فمن باب أولى أن تكون تلك البيعة للحسين ، ومن باب أولى أيضاً : أن يُسلم عبدالله بن الزبير بذلك وينقاد تابعاً للحسين ، نقول هذا من وحي الواقع ، فلو تمكن الحسين من تأسيس الحكومة وبسط اليد على تمام العراق ، فإن ذلك سيكون حافزاً للأخرين مبايعته على السمع والطاعة ، ونعلم بالضرورة أن يكون الإمام خليفة يعني ذلك سيادة العدالة والنظام والقانون ، وسيكون ذلك كذلك إيذآن بنهاية دولة الظلم والإستبداد الأموي . يظهر مما مضى إن الإمام الحسين ، إنما سار نحو الكوفة وذلك من أجل - التأسيس لحكومة العدل والنظام والقانون - ، مدفوعاً بما لديه من أسباب وعوامل للنصر كانت أكيدة وبنسبة عالية ، وعليه أيضاً يكون ومن باب التقابل : - لو لم تكن عوامل النصر في تحقيق ذلك الهدف لما تحرك من رأس - ، وهذا الإستنباط لا يحتاج إلى دليل يوضحه ، وكما قلنا سابقاً : إن الإمام الحسين لم يتحرك إعتباطاً ، بل سار وفق خطة وبرنامج منظمين ، فهو أولاً : كان قد أمر مسلم بن عقيل ، ان يذهب إلى الكوفة ويحقق له في أمر أهلها ، قائلاً : (يا ابن عم قد رأيت ان تسير إلى الكوفة فتنظر ما اجتمع عليه رأي أهلها ، فإن كانوا على ما أتتني به كتبهم فعجل علي بكتابك لأسرع القدوم عليك ، وإن تكن الأخرى فعجل الإنصراف) * الأخبار الطوال ص 230 الدينوري تحقيق عبد المنعم عامر - ، وطبيعي إن مسلم بن عقيل لو كتب للإمام الحسين : - إن جمع أهل الكوفة على غير ما أتت به كتبهم ، فإن الحسين حتماً ويقيناً لن يتحرك إليهم - ، وثانياً : إن الإمام كتب لأهل الكوفة كتاباً يقول فيه : - (...فإن كتب إليَّ انه قد إجتمع رأي ملئكم وذوي الحجى منكم على مثل ما قدمت به رسالكم ، اقدم إليكم وشيكاً إنشاء الله ، فلعمري ما الإمام إلا العامل بالكتاب والقائم بالقسط والدائن بدين الحق والسلام) * الارشاد ص 204 المفيد ، وواضح من لغة الكتاب وجملته الشرطية ، وبإن الإمام منتظر فيه جواب مسلم وصحة دعوة أهل الكوفة ، ولازم ذلك بجواب الشرط : إني لم أقدم

عليكم إن لم قد إجتمع رأيكم على ما أتتني به كتبكم - ، ودائماً يجب تتبع الفكرة التي تقول : إنه لولا دعوة أهل الكوفة له لما تحرك إليهم - ، وثالثاً : - إن الإمام في يوم عاشوراء خطب القوم قائلاً : - (فهلا لكم الولايات تركتمونا والسيف مشيم ، والجأش طامن والرأي لما يستحصف ..) *الإحتجاج للطبرسي ص 24 ، ومثير الأحزان لأبن نما ص 28 ، مقتل الخوارزمي ج 2 ص 6 ، والتهذيب لأبن عساكر ج 4 ص 333 ، ومعنى ذلك إنه لولا كتبكم ومواثيقكم لما قدمت إليكم ، وهذا تأكيد على ان قدومه إليهم ، إنما كان نتيجة لعهودهم ومواثيقهم ، فلو لم تكن مجاري الأمور طبيعية لما قدم إليهم .

ولكن في هذا كله : - هل كان الحسين يأمل بشيء ما لم يصل إليه ؟ والحق أقول : نعم كان الحسين يأمل بالنصر وتحقيق العدالة ، وكان يأمل في قيام دولة القانون والنظام ، وهذا الأمل مشروع كذاك الأمل لدى النبي والرسول محمد ، إذ إنه كان يأمل بالنصر على العدو في معركة أحد ، ولكنه خسر المعركة بعد ان خالف أصحابه طاعة أوامره ، وهكذا كان أمير المؤمنين يأمل بالنصر على معاوية في صفين ، ولكنه خسر بسبب مكيدة التحكيم ، حتى قال : (سبحان الله ! بينا نحن نرجو ان نغلب القوم على ما في أيديهم ، إذ غلبونا على ما في أيدينا) * كشف الحجة ص 174 ومعادن الحكمةج 1 ص 34 ، والإمام الحسين لو تمكن الدخول إلى الكوفة ضمن الشروط للنصر لتمكن تأسيس دولة العدل ، ولكن الأمور جرت على خلاف طبيعتها وعلى عكس رغبة الإمام ثم انتهت إلى نهايتها المأساوية .

والذي ينبغي قوله في هذا المجال : - إن النبي أو الإمام ، وسواء وصلوا أو لم يصلوا إلى هدفهم وما يأملون ، فإن الطريق الذي اختاروه كان صحيحاً 100% ، وهذا ما أكده الإمام الحسين للفرزدق حيث قال : - (ان نزل القضاء بما نحب ونرضى ، فنحمد الله على نعمائه وهو المستعان على أداء الشكر ، وإن حال القضاء دون الرجاء ، فلم يبعد من كان الحق نيته والتقوى سريرته) * الارشاد ص 218 ، ولا بد هنا من توجيه الأنظار : إلى إن الإمام الحسين لم يكن يريد كربلاء ، ولم يرد الإستشهاد فيها ، ولم يكن ذلك هدفه ولا أمله في رحلته تلك ، كما يجب القول : إن هذا التصور اللامنطقي و منشأه ظواهر بعض الأخبار الواردة في كتب التاريخ والحديث ، و سنقوم بتحقيق بعض الأخبار في الفصل الخامس من هذا الكتاب ، ونورد هنا مثالاً منها قولهم إن الإمام الحسين خطب قائلاً : - (ان هذه الدنيا قد تغيرت وتنكرت وأدبر معروفها ، ولم يبق فيها الاصبابة كصبابة الإناء وخسيس عيش كالمرعى الوبيل ، إلا ترون ان الحق لا يعمل به ، وإن

الباطل لا يتنهي عنه ليرغب المؤمن في لقاء الله محقاً ، فإني لا أرى الموت إلا سعادة والحياة مع الظالمين إلا برما) * تحف العقول ص 174 ، وتاريخ الطبري ج 4 ص 305 ، وسير النبلاء ج 3 ص 209 ، هذه واحدة من الأخبار التي يظن البعض فيها بان الإمام الحسين إنما تحرك لكي يستشهد في كربلاء !!!! ، وقد أختلف الرواة في زمان ومكان هذه الخطبة ، فمنهم من قال إنها حدثت يوم إلتقى الحسين بجيش الحر بن يزيد الرياحي ، ومنهم من قال إنه ألقآها بعد مجئ عمر بن سعد إلى كربلاء ، وبعدما علم بمقتل مسلم بن عقيل ، ولكن مامعنى قوله : - (إني لا أرى الموت إلا سعادة والحياة مع الظالمين إلاَّ برما ؟) ، للوهلة الأولى يُفهم من سياق الجملة هو : إن والي الكوفة يريدني التسليم من دون قيد ولا شرط ، والتسليم على هذا النحو مذلة ، وإني لذلك لا أرى الموت إلا سعادة ، لأن الحياة مع الذل لا معنى لها ولا طعم ، ويكون الموت في سبيل المبدأ والهدف أسمى ، وكأن الإمام يريد القول : أن لا حياة مع الذل والإستسلام ، وهذا النوع من الكلام فيه قياس يشبه ذلك الذي فعله - يوسف الصديق - عندما خُيرً بين السجن أو النزول عند رغبة إمرأة العزيز ، فاختار السجن على رغبتها حيث قال كما ورد في الكتاب المجيد : - (رب السجن أحب اليَّ مما يدعونني إليه) ، فهو لا يريد القول : - ان السجن هو هدفي ومقصودي في الحياة ، وإني إنما رفضت رغبة إمرأة العزيز سعياً وراء الوصول إلى ذلك !!! ، ذلك لأن السجن ليس هدفاً مطلوباً و مستقلاً بذاته - ، ولكنه أراد القول : اني لما خُيرَّت بين السجن أو فعل المحرم ، فإني قد أخترت السجن على ما فيه من مصاعب وعذاب - ، إذن فيوسف الصديق يعتبر السجن ليس هدفاً له ولا يجب ان يكون لغيره كذلك ، ولكنه يكون مطلوباً فيما لوخُير بين إرتكاب الجريمة أو السجن ، يكون هو المقدم عليها ، ولهذا عمل يوسف وهو في السجن للخلاص منه ، حين قال لصاحبه في السجن : (أذكرني عند ربك) ، قال الطباطبائي في الميزان : هذا وجه الإعتراض على من قال – إنك أخترت السجن فلماذا تطلب الخروج منه ؟ * راجع تفسير الميزان للعلامة الطباطبائي ج 11 ص 180 ـ 181

والإمام الحسين يعلم ان الموت أمراً صعباً ، ولكنه لو قيس بحياة ذليلة يكون عظيماً ومطلوباً ، تبين لنا من الكلام المنسوب للإمام هذا : إنه لا يصح دليلاً على إثبات هدف الإمام ، وبإنه يريد القتل ويطلبه ، وللتأكيد على ذلك نقول : إن كان الإمام يريد أن يقتل نفسه بكربلاء ، فلماذا بعث مسلم بن عقيل إلى الكوفة ؟ * الارشاد ص 204 المفيد ، فهل يريد الإمام لمسلم بن عقيل ان يُقتل في الكوفة ؟ !! ، ولماذا أرسل قيس بن مُسهر الصيداوي إلى الكوفة ؟ ليخبرهم بقدومه

إليهم ؟ *الإرشاد ص 222 ، **فهل يريد الإمام لقيس بن مُسهر الصيداوي أن يُقتل في الكوفة ؟ ، ولماذا طلب مسلم بن عقيل من محمد بن الأشعث وعمر بن سعد أن يكتبا للإمام الحسين بعدم القدوم إلى الكوفة ؟** * الإرشاد ص 217 المفيد

وهذا يعني إن مسلم بن عقيل يعلم إن الإمام قادم إلى الكوفة لا إلى كربلاء لكي يُقتل فيها ، ولو كان يعلم إنه يريد كربلاء لما كتب إليه يقول : - (... إن جمع أهل الكوفة معك ، فأقبل حين تقرأ كتابي ..) * تاريخ الطبري ج 4 ص 197 ، **أتضح من العرض السابق إن الإمام كان قد أرسل مسلم بن عقيل إلى الكوفة ليأخذ البيعة من أهلها إلى الحسين لا لكي يدعوه حتى يُقتل في كربلاء ، كما إنه لم يرسل قيس بن مسُهر الصيداوي إلى اهل الكوفة ليجدوا في أمرهم وينكمشوا في طلبهم فإنه قادم إليهم لا لكي يُقتل قيس فيها ، ولو كان هدفه القتل فما حاجة مسلم بن عقيل ليطلب من عمر بن سعد أن يكتب للإمام الحسين أن لا يأتي إلى الكوفة ، لا لكي يأتي حتى يُقتل فيها ، وهذه أدلة ثلاث أوردناها تنفي مقولة القائل بإن الإمام الحسين تحرك من مكة لكي يُقتل في كربلاء ، وإليكم أدلة الإثبات هذه على إن هدف الإمام من تحركه هو لإقامة الحكم العادل وسيادة القانون والنظام ، ولم يكن هدفه أن يُقتل في كربلاء كما يظن بعض السذج والمهرجين ، وإليكم هذه الأدلة : - ما كتبه يزيد بن معاوية لعبيد الله بن زياد ، (وأما بعد ، فإنه كتب إليَّ شيعتي من أهل الكوفة إن أبن عقيل فيها يجمع الجموع ،**) .. * الإرشاد ص 226 ، **ونسأل : هل كان مسلم بن عقيل يجمع الجموع في الكوفة لكي يقتل الإمام أم كان يجمعهم لكي يأخذ البيعة من أهلها ويعمل لتأسي الحكومة العادلة ؟ ، وما قاله ابن زياد لغلامه : (خذ ثلاثة آلاف درهم وأطلب مسلم بن عقيل وإلتمس أصحابه ، فإذا ظفرت بواحد منهم فإعطهم هذه الدراهم ، وقل لهم إستعينوا بها على حرب عدوكم ..**) الإرشاد ص 207 ، * **ونسأل : ماذا يُفهم من كلام أبن زياد هذا ؟ هل يُفهم منه إن مسلم بن عقيل كان يهئ لقتل الإمام أم يهئ لتشكيل الحكومة بقيادة الحسين ؟ ، وما قاله مسلم بن عوسجة لغلام ابن زياد حينما جاءه يخبره بالأموال التي عنده : (أحمد الله على لقائك إياي ، فقد سرني لتنال الذي تحب ، ولينصر الله بك أهل بيت نبيه**) *الإرشاد ص 207 ، **ونسأل : هل كان سرور أبن عوسجة بهذا الغلام هو لأنه يريد قتل مسلم بن عقيل أم كان مسروراً لنصرته اهل البيت ومساعدته في تشكيل الحكومة ؟ ، ونسأل كذلك : لماذا أمر مسلم بن عقيل أبا ثمامة الصائدي أن يأخذ المال من غلام أبن زياد ؟**

، فهل كان يريد من ذلك العمل قتل الحسين أم تهيئة العدة والعتاد في سبيل نهضة الحسين ؟ ، *الإرشاد ص 208 ، وما قاله ابن زياد لهاني بن عروة المرادي : أدخلت مسلم بن عقيل دارك وجمعت له السلاح والرجال .) * الإرشاد ص 208 ، ونسأل : هل كان حماية مسلم وجمع السلاح والرجال له ، من أجل قتل الإمام أم من أجل تشكيل الحكومة ؟ ، وما قاله ابن زياد لعبدالله بن يقطر : ... أصعد القصر وألعن الحسين بن علي . فلما أشرف (عبدالله بن يقطر)على الناس قال : أيها الناس ، إني رسول الحسين بن فاطمة بنت رسول الله إليكم ، لتنصروه وتؤازروه .... * تاريخ الطبري ج 4 ص 300 ، ونسأل : ما معنى كلام عبد الله بن يقطر هذا وخطابه لنصرة الحسين ؟ فهل كان يريد من ذلك أن تجتمع الناس على قتله ؟ ، وكذلك ما قاله ابن زياد لمسلم بن عقيل عندما جاؤوا به أسيراً : إن نفسك تمنيك ما حال الله دونه ولم يرك الله له أهلاً ، فقال له مسلم : فمن أهله إذا لم نكن نحن أهله ؟ فقال ابن زياد : أمير المؤمنين يزيد ... * الأرشاد ص 216 ، ونسأل : هل كان المقصود من كلام ابن زياد وعن الشيء الذي كان يُمني مسلماً نفسه به هو الحكم أم القتل ؟ ، وما قاله عبد الله بن مطيع العدوي للإمام الحسين : - (فو الله لئن طلبت ما في أيدي بني أمية ليقتلنك) *الإرشاد ص 221 ، فهل المقصود من الشئ الذي يطلبه االإمام من أيدي بني أمية هو الحكم أو القتل ؟ ، وما قاله ابن عباس للإمام الحسين : - (أخبرني رحمك الله أتسير إلى قوم قد قتلوا أميرهم ، وضبطوا بلادهم ، ونفوا عدوهم ، فإن كانوا قد فعلوا ذلك فسر إليهم ، وإن كانوا إنما دعوك إليهم وأميرهم عليهم قاهر لهم ، وعماله تجبي بلادهم ، فإنهم إنما دعوك إلى الحرب) *تاريخ الطبري ج 4 ص 287 ، ونسأل : هل كان ابن عباس يعني إن هدف الحسين هو إن يقتل في كربلاء ؟ أم كان يقصد الحكم والخلافة ؟ ، ونضيف لما سبق تلك الجملة المشهورة التي قالها الحسين : - (نحن أهل بيت محمد وأولى بولاية هذا الأمر عليكم من هؤلاء) * ، فهل كان الإمام يقصد من جملة - أولى بولاية الأمر عليكم - هو القتل والإستشهاد في كربلاء ؟ أم إنه كان يقصد في ذلك قيام الحكومة العادلة ؟ .

وليس من شك إن مقولة - الشهادة - التي ترسخت في ألسن الخطباء وأهل المنابر ، كان مصدرها كتاب اللهوف لأبن طاووس ، والذي كُتب في النصف الثاني من القرن السابع الهجري ، وفي هذا الزمن إليك أن تحكم على الكتاب وما فيه من هذا الجانب !!! ، ومع هذا التوصيف نكون قد إنتهينا من البحث في الفصل الأول ، الذي يمكن إجمال نتائجه على النحو التالي :

تعتبر قضية البيعة التي أراد يزيد أخذها من الإمام الحسين عنوةً ، هي العامل الحاسم في سرعة تحرك الحسين وهجرته من المدينة نحو مكة ومن ثم إلى العراق ، ولكن لهذا الإصرار على أخذ البيعة من الحسين وعلى هذا النحو أسباب يمكننا قرائتها على الشكل التالي :

1 - يعتبر يزيد أخذ البيعة من الحسين هدف مستقل بحد ذاته ، وذلك من أجل تقوية مركز الخلافة والدولة .

2 - والسبب الثاني نفسي يتعلق بعقدة النقص والحقارة التي كان يعاني منها يزيد .

3 - والسبب الثالث نفسي كذلك مرتبط بالسبب الثاني ، أعني - غريزة حب الإنتقام - والثأر من الحسين وبني هاشم عامة ، [ولا يخفى على المتتبع : إن السبب الأول هو في مصاف العلل الغائية ، ولكن السبب الثاني والثالث هما من العلل الفاعلة] .

وفي موضوع البيعة ليزيد وسبب إمتناع الحسين عن ذلك ، معلوم قد فصلنا الكلام فيه في هذا الفصل ، ويتعلق الرفض والإمتناع بالمسؤولية الأخلاقية والشرعية التي يشعر بها الإمام تجاه الدين والمجتمع ، وأما سبب قيامة الحسين وسعيه لتأسيس دولة العدل والقانون ، فهو :

1 – الخلل الكبير والفساد الكبير في أجهزة السلطة والحكم ، والذي يؤثر ذلك على الحياة والنظام العام .

2 – المسؤولية الشرعية والأخلاقية التي يشعر بها الحسين تجاه المجتمع ، وما تقوم به السلطة من أعمال وتعديات وظلم .

3 – وكذلك المسؤولية الشرعية والأخلاقية التي كان يشعر بها الإمام - تجاه تصحيح الأوضاع - وإحياء السُنة وإماتت البدعة .

4 – مضاف إلى هذه المسؤولية الشرعية في معنى : - (إن الله أخذ على العلماء أن لا يقاروا على كظة ظالم أو سغب مظلوم) * نهج البلاغة الخطبة رقم 3 .

إذن كانت قيامة الحسين من أجل هذا كله ، قيامة من أجل الإنسان ومن أجل العدل والحرية والسلام وسيادة القانون ، ورفع الحيف والظلم من على الجماعة البشرية ، هكذا كانت قيامة الحسين في الأصل الأولي لها ..